

30

روايات عالمية للاطفال

www.liilas.com/vb3
^RAYAHEENA^

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
طبع ونشر ووزارة
www.liilas.com

قصة: دافني دو مورييه
ترجمة وابطال:
د. احمد خالد توفيق

لا تنظرى الاآن!

المؤلف

لما كنا قد وصلنا
بسلام ونجاح إلى
الكتيب الثلاثين ، فقد
حان الوقت لنقدم قصة
متميزة على سبيل
الاحتفال ، وكما فعلنا في
الكتيب العشرين .

DRAHNEK MAGRER

www.drahnekmagrer.com



[Click here ...](#)

(لا تنتظري الآن) مجموعة قصصية ممتعة لكاتبة إنجليزية عظيمة الشهادة ، هي (دافنى دومورييه) .. وقد لا يعرف البعض الاسم لكنهم - بالتأكيد - شاهدوا فيلمى (الطيور) و (ربيكا) عن قصتين شهيرتين لها ، والقصتان قدمهما سيد التسويق (ألفريد هتشكوك) وإن كان - باعترافه - قد تحرر كثيراً جداً من النص الأصلى .. فعادته هي أن يقرأ الرواية مرة واحدة فقط ، ثم ينساها تماماً ، ويسرع في إخراج الفيلم بطريقته الخاصة !

يقول النقاد : إن أسلوب (دافنى دوموربيه) شديد الميلو درامية ، وإنها لم تقدم أعمالاً أدبية جادة ، وإنما أعمالاً مسلية لا أكثر ..

والحق إن (دافنى) قد برهنت عن براعة شديدة كاتبة غموض وكاتبة تشويق ، خاصة في قصصها الشهيرة (ابنة عمى راشيل) و (الطيور) و (موعد) .. ثم القصة الحالية (لا تنظرى الآن) التي كتبتها عام ١٩٧١ ، وتعكس اهتماماً شديداً بما وراء الطبيعة .. وقد توفيت (دافنى) عام ١٩٨٩ بعد ما صارت عالمة من علامات الأدب الإنجليزى المعاصر ..

★ ★ ★

ولدت (دافنى دوموربيه) في (لندن) عام ١٩٠٧ ، وتلقت تعليمها في البيت مع شقيقاتها ، وفي سن الثامنة عشر كتبت أولى مجموعاتها القصصية التي تحمل اسم (شجرة التفاح) ، والتي لم تنشر إلا عام ١٩٥٢ .

وفي عام ١٩٣٢ تزوجها الميجور جنرال (فردرريك براوننج) ، وعاشا في (كورنوول) حيث رزقا بثلاثة أطفال ..

في عام ١٩٣٦ قدمت لنا (حاته جامايكا) التي حققت نجاحها الأدبي .. وتحكي عن المهربيين في ساحل (كورنوول) ، وقد كافأ (ألفريد هتشوك) هذه الرواية بأن أخرجها للسينما عام ١٩٣٩ .. وجاءت قصة (ربيكا) عام ١٩٣٨ للتوج شهرتها (*) .. وفي عام ١٩٤١ قدمت لنا (نهير فرنشمان) ، وهي رواية شهيرة بدورها ..

(*) كتبت (دافنى) ربع هذه الرواية في مصر ، حيث كان زوجها ضابطاً هناك ..

ا ل آ ن ت ن د ر ی



- « لا تنظرى الآن »
قالها (جون) لزوجته - « .. لكن هناك فتاتين
عجزين على بعد منضدين هنا ، تحاولان تنويمى
مغناطيسياً .. »
على الفور ظهرت (لورا) بالثياب والجمبىن ..
رأسها كأنما تفتش فى السماء عن طائرة لا وجود
لها ..

- « خلفك بالضبط » - أضاف - « لهذا لا يمكنك
الاستداره حالاً .. سيكون هكذا واضحأ أكثر من
اللازم .. »

لعبت (لورا) أقدم لعبة فى العالم ، وأسقطت
منشفتها ثم احنت لتلتقطها ، وأرسلت نظرة خاطفة
من فوق كتفها الأيسر وهى تعتمل ثانية .. وعلى
الفور بدت عليها أول علامات الهستيريا المكتوبة ،
وهمسـت :

- « ليست فتاتين بل هما توءمان ذكران متذكرةن .. »
كان صوتها يوحى بنذير نوبة ضحك لا تتحكم
فيها ، فصب لها بعض الشراب وقال لها :

- « ظاهري بأنك تشرفين ، حتى لا تلاحظـ

ضحك » ، أنا الآن أعرف من هما .. إيهما مجرمان
يتزهان فى أوروبا ويغيران جنسهما فى كل لحظة ..
اليوم شقيقان فى (تورسلو) وغداً شقيقان فى
(فينيسيا) فقط يبدلان الثياب والجمبىن .. »

- « لصا مجوهرات أم قاتلان؟ »

- « آه ! قاتلان حتماً .. لكننى أتسائل ، ترى هل
لاحظتى؟ »
قاطعهما الساقى إذ جلب القهوة ، ووضع الفاكهة
 أمام (لورا) مما ساعدتها على كتم عاصفة الضحك ..
وسألته :

- « إننى أتسائل كيف لم نلاحظهما قبل الآن؟
إيهما طويلتـا القامة ، وعسير أن تفشل فى
ملحوظتهما .. »

- « هذه المجموعة من الأمريكان ، والرجل
المتحى ذو (العونوكـل) الذى يبدو كالجوايس ..
لقد كانوا يحجبونهما عنا .. ربـاه ! ذات الشعر
الأبيض ترمقـى ثانية ! »

أخرجـت (لورا) عـلبة مساحيقـها ، ووضـعتـها أمام
وجهـها لـتعـلـ المرأةـ كـعاكسـ ..

وقالت :

- « يبدو أنهم تظارننى لا لك .. لحسن الحظ
أنتى تركت لأننى لدى مدير الفندق »
وبالمحسوك لطخت خديها .. ثم قالت :
- « لقد فهمنا خطأ .. إنهم ليستا لصين .. يبدوا لي
أنهم ناظرتا مدرسة طبيان فى إجازة ، وقد ادخرتا
كل ملجم فى حياتهما كى تزورا (فينيسيا) .. لا بد
أنهم جاءتنا من مكان يدعى شيئاً كـ (الاباتجا) فى
(أستراليا) ، ولا بد أن اسميهما (تيلى) و(تنى) ..»
قال لنفسه : أخيراً بدأت تتصر .. لو استطعت
الحفظ على هذا ، ولو استطعنا أن نتبادل النكات ،
ونمارس التخيلات السخيفة بصدور القوم من حولنا ،
أو نمضى ما بين متاحف الفنون ؛ عندها سيسقر
كل شيء .. وسيلتزم الجرح وتعود الحياة لما كانت
عليه .. ستنسى ..

قالت (نورا) :
« أتعلم ؟ كان هذا غداء طيباً جداً ، وقد استمتعت
به حقاً .. »

حمدًا لله .. حمدًا لله .. ثم انحنى للأمام وبصوت
هامس متامر قال :
- « إن إحديهم ذاهبة لدوره المياه .. أظنني أنها
ستبدل جمتها هناك ؟ »
- « لا تقل شيئاً .. سأتبعها لأرى ما سيحدث .. »
واراحت تزوم فى رضا .. رأى المرأة تهض
قادصة الحمام ، وكانت لها ملامح نسائية قوية ،
طويلة القامة ، تعقص شعرها على الموضة الشائعة
فى أيام أمه ، ترتدى قميصاً رجولياً وربطة عنق
وسروالا من (التويد) ..
كانت هى وأختها توأميين تم تحتمهما بنفس القالب ،
والفارق الوحيد بينهما هو أن شعر الأخرى أكثر
بياناً ..
نهضت (نورا) لتلحق بالمرأة ، وقالت :
- « المهم لا تضحك حتى لا أضحك بدورى ..
تذكرة حين أعود لا تنظر لى حتى لو جئت معها ..»
- « خذى الحذر .. فلربما تحمل حقنة مخدرة
تفرغها فى جسدى .. »
واتصرفت لاحقة بغير استئذنها ..

فلتظرى لى شدراً كما تريدين .. هذه لعبة يلعبها
النان .. ونفع سحابة دخان فى الهواء .
فى النهاية لم يستطع تحمل عينيها الزرقاوين ،
فأشاع بنظره واستدار يطلب الفاتورة من الساقى ..
لكنه ظل يشعر بوخذ عينيها فى مؤخرة رأسه ..
نظر إلى ساعته .. لقد تأخرت (لورا) كثيراً ..
عشر دقائق على الأقل ..
ثم سمع صوت خطوات .. هذه التوعمة عائدة إلى
المنضدة حيث أختها ، وكانت تقول مالم يفهمه ..
ما هذه اللكتة ؟ أسلكتنديه هى ؟
رأها تمداً يدها لتساعد أختها على النهوض ، ثم
تحركتا عبر الحديقة كى تبتعدا عن عينيه ..
جاءت (لورا) أخيراً بعد ما نفد صبره ، فقال لها :
- « حسن .. يجب الاعتراف بأنك أخذت وفتاك .. »
ثم توقف حين رأى ذلك التعبير على وجهها :
- « ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟ »
كانت مصدومة .. تأرجحت لتجلس إلى المائدة ،
فسألتها :
- « ماذا ؟ هل أنت مريضة ؟ »
رفعت وجهها ، وتعبير حائر غريب على وجهها :

جلس وحده يدخن ، ويختلس النظر إلى الأخري ..
الحمد لله .. لربما كانت هذه العطلة هي ما تحتاج
إليه (لورا) .. لربما قضت على اليأس الذي أحاط
بها منذ ماتت طفلتها .. لقد قال لها الطبيب :
- « إنها ستنهي الألم .. كلهن يفهرونها بعد حين ... »
قال (جون) :
- « نعم .. لكن الطفلة كانت تعنى كل شيء لديها
من البداية .. إن ابنتنا في سن المدرسة الآن ويعرف
كيف يدبر أموره .. لكن (لورا) كانت تهيم بها
حياناً ... »
- « كلاماً صغير وسيكون لديكما أطفال آخرون »
كلام سهل .. كيف تستبدل بحياة طفل محبوب
حلم؟ إن الطفلة القادمة ستكون لها ذاتيتها المختلفة
وخصائصها المترفرفة .. ستتم في الفراش الذي كانت
(كرستين) تنام فيه ، لكنها لن تكون أبداً ذلك الملك
الشمعي ذا الشعر الأسود الذي رحل ..
كانت المرأة ترمي في ثبات الأن .. نظرة مليئة
بالتركيز تخترق لشعره بعدم الراحة .. سحقاً للنساء !

- « إننى سعيدة يا (جون) سعيدة .. كنت أموت
كمدا طيلة هذه الأسبوع ، لكننى كنت أدارى هذا عنك ..
الآن زال الكمد لأننى أعرف أن المرأة محققة .. كم هو
 رائع من .. لقد نسيت اسمها .. إنها طبيبة متقدعة
 جاءت من (إينيره) ، أما من رأت (كريستين) فهى
 كفيفة منذ أعوام .. وكانت تدرس ما فوق الطبيعة
 ولها قوى نفسية معينة ، لكنها صارت وسيطة حقة
 حين أصابها العمل .. لقد وصفت (كريستين) بدقة
 حتى الفستان الأزرق ذى الأكمام الوردية الذى كانت
 ترتديه فى عيد ميلادها .. »

والتنقت المنديل وتمخطت ، وقالت :

- « هي بخير .. وليس علينا أن نقلق .. »
 قال لنفسه : لو كان هذا الشعور يسعدها فلن
 أرفضه .. لكننى أتمنى لو لم يحدث أساسا .. إن هناك
 شيئاً منفرداً في قراءة الأفكار وتوارد الخواطر ، ولا أحد
 يجد له تفسيراً ..

سألها متظاهراً بعدم القلق :

- « أنت لم تربى مقابلتهما ثانية .. أليس كذلك ؟
 - « ولماذا يا عزيزتي ؟ لم يكن لديهما ما هو أكثر

- « إنه رائع .. أروع شيء يمكن أن يكون .. إنها
 ليست ميتة بل هي معنا ! لهذا كانتا تحدقان فىنا ..
 كان بوسعهما أن تريا (كريستين) ! »

رباه ! هذا ما كنت أخشاه .. لقد جئت ! ماذا أفعل ؟
 افتعل ابتسامة وقال :

- « هيا بنا يا عزيزتي .. أما آن أن نرحل ؟ لقد
 دفعت الفاتورة ، ويمكننا الآن الذهاب لرؤية الكاتدرائية ،
 ويمكننا أن نركب (اللنش) إلى (فينيسيا) .. »
 لم تكن تصفعى لكلامه ، ولم يخترق صوته
 انبهارها .. قالت :

- « يجب أن أحكي لك .. لقد تبعت العجوز إلى
 دورة المياه فوجدها تغسل يديها فى الحوض ،
 وفجأة استدارت وقالت لي بلهجة سكوتلندية قوية :
 لا تكونى تعصي ثانية .. لقد رأت أختى طفلتك
 الصغيرة ، جالسة بينك وبين زوجك وهى تضحك !
 وربت على رأسى مطمئنة .. آه يا (جون) !
 لا تبد كهذا ! أقسم أننى لا أختلف ما أقول .. »

كان صوتها الملهوف يجعل قلبها يشب إلى فمه ..
 يجب أن يهدئها وأن يظهر تصديقه لها ..

لتخبراتي به .. ولسوف ترحلان فوراً لتوacialا رؤية
العالم .. يا للعزيزتين ! إنهما أى شيء سوى لصتنى
جواهر أو قاتلتين ! «
ونهضت قائلة :

- « هلم ! ما دمنا في (تورسييلو) فيجب أن نرى
الكاتدرائية .. »
وأتجها معاً إلى قرب المرفأ ، حيث كانت المعدية
تنزل مجموعة جديدة من السياح ، ومشيا إلى
(سانتا ماريا أوسونتا) .

راحـا يتـأملـان الـكـاتـدـرـائـيـة .. يـتفـحـصـانـ النـقوـشـ
والـرسـومـ عـلـىـ الجـدـرانـ ، لـكـنـهـ لمـ يـسـطـعـ الاستـمـتـاعـ
خـاصـةـ أـنـ الزـحامـ جـعـلـ التـذـوقـ الفـنـ مـسـتـحـيلـاـ .. وـلـمـ
يمـسـ قـلـبـ الـجـمـالـ الـبـالـغـ الـذـىـ رـآـ .

رفع عينيه نحو الباب ، ففوجئ بالشقيقتين هناك ..
كانت العمياء تتمسك بذراع اختها وهي تتبعها .. شعر
بشلل كامل يغمره .. هذه هي النهاية .. لا مفر ..
لا مستقبل .. شعور غريب غمره وزال سريعا ..
هاتان المجرمتان تمارسان نوعاً غريباً من الحياة :
تجولان حول العالم لتشعرا الناس بعدم الراحة ..

شعر بـ (لورا) تجذب كمه :
- « أليست جميلة ؟ أليست هادئة ؟ »
- « من !؟ »
- « الـ (مـادـونـا) فـىـ الصـورـةـ .. إـنـ لـهـاـ سـحـراـ
يـخـرـقـ .. »
- « أ .. أعتقد ذلك لكنني لست متأكداً .. »
ثم دعاها في عصبية إلى الابتعاد بحجـةـ شراءـ
بعض البطاقـاتـ الفـنـيـةـ .. واقتـادـهاـ إـلـىـ طـرـيقـ ضـيقـ
خارجـ الـكـاتـدـرـائـيـةـ ، فـقـالتـ لـهـ :
- « لا أظنـ هـذـاـ الطـرـيقـ يـؤـدـيـ لـمـكـانـ ماـ ، وـهـوـ
موـحـلـ ذـكـرـ »
فيـ نـفـادـ صـبـرـ جـذـبـهاـ بـعـيـدـاـ ..
كانـ يـتـذـكـرـ (كـرـسـتـينـ) قـبـلـ إـصـابـتهاـ بـالـتـهـابـ
الـسـحـانـىـ المـمـيـتـ .. بـالـتـأـكـيدـ كـانـتـ سـتـحبـ هـذـاـ المـكـانـ ..
ربـماـ كـانـتـ سـتـخلـ حـذـانيـهاـ لـتـرـكـضـ جـوارـ المـاءـ مـصـبـيـةـ
أـمـهـاـ بـالـهـلـعـ ..
غـاصـ قـلـبـهـ فـىـ قـدـمـيهـ .. وـتـعـنىـ أـلـاـ يـرـىـ الـأـخـتـينـ ..
ثـانـيـةـ ..
كانـ (اللـنـشـ) الـذـىـ أـحـضـرـهـاـ مـنـ (فـيـنـيـسـياـ) يـنـتـظـرـ ..
وـكـلـ الـمـسـافـرـيـنـ قدـ اـحـشـدـواـ فـيـهـ : الـأـمـرـيـكـانـ وـالـرـجـلـ

ذو (المونوكل) .. كل ما يريده الآن هو العودة إلى
(فينيسيا) ثانية ..

مضى القارب عبر القاتل إلى البحيرة ..

وقالت له (لورا) وهي تريح رأسها إلى صدره :

- « كان يوماً جميلاً بحق ولسوف أذكره ما حبيت .. »
ليكن .. ما دام هذا يجعلها سعيدة ..

الآن يريان روعة (فينيسيا) وسماءها البراقية ،
ومازال بها الكثير مما ينتظر أن يرياه .. كان

فندقهما قريباً من (جراند كاتال) ، وهو فندق مريح ..
وابتسם لها موظف الاستقبال وهو يعطيهما المفتاح ..

كانت غرفتهما مريحة بدورها ، لكن لها طابع كل
غرف الفنادق الغريب .. هذه غرفتنا لفترة لكن ليس

بعد ذلك .. إذ نعيش فيها سنجّل لها الحياة ، وحين
تركها لن توجد ثانية ، وتغيب في العدم ..

غادرا الفندق إلى الليل الدافئ الناعم ، والسرج
حولهما في كل صوب ..

- « لنمش حتى تتفتح شهيتنا للعشاء الهائل ! »

- « لكن ليكن رخيصاً .. فقد أتفقنا الكثير اليوم .. »
الجندولات تترافق على الماء ، والكل يبحث عن

المتعة غير ذات الهدف ..

قال لها :

- « أين تتناولين العشاء ؟ »

- « ثمة مطعم قرب كنيسة (سان زاكاريا) ..
دعنا نقصده .. »

مشيا عبر (فوندامنتا ديلا فرسينالي) .. كانت
هناك حاراتان ، إحداهما لليمين والأخرى لليسار ،
وتردد (جون) بقصد الاتجاه الأمثل .. ثم قرر أن
يمشيا في الاتجاه اليسرى ..

كان مرأياً ضيقاً يطل على البحر .. وهو مكان دافئ
في الصباح ، لكنه في الليل بدا كثيناً باسنا .. النواخذة
والأبواب كلها موصدة ، والظلم دامس ، والقوارب
المتراسة على المرفأ كأنها التوابيت ..

قالت (لورا) :

- « لا أذكر هذا المكان ولا أحبه .. »

- « أنا أعرف أين نحن بالضبط .. »

وعبرا جسراً صغيراً عندما سمعا صرخة .. جاءت
من أحد المنازل لكن أيها ؟ مستحيل أن تعرف ،

وهمس (لورا) :

- « ما كان هذا ؟ »

- « أحد السكارى .. هنمى .. »

لم تكن صرخة سكير ، بل هي شبيهة بصرخة رجل
يتمن خنقه ، وسرعان ما تلاشت ، إذ صارت قبضة
الخاتق أقوى ..

كانت تسقيه في المشى ، وقد جدت في سيرها ..
ولاحظ (جون) شيئاً صغيراً يخرج من بدرورم أحد
المنازل ثم يتبع إلى قارب .. كانت طفلة .. طفلة
صغيرة لا تزيد على خمس سنوات ، ترتدي معطفاً
قصيرًا فوق تورتها ، وكبود يغطي رأسها ..

كانت تسب من قارب آخر ، كأنها مصممة على
الفرار .. وانزلقت فيمرة فاحتبس أنفاسه ثم
استردت توازنه .. في النهاية ركضت فوق درجات
منزل على الناحية الأخرى ، واختفت هناك ..

لم تكن (لورا) قدرأت شيئاً من هذا ، وسره ذلك ..
لربما كان للمشهد - الذي له علاقة أكيدة بالصرخة -

أثر مخيف على أعصابها ..
اتجهت ببطء عبر الزقاق .. وكان يتظاهر بيئنة
لا يملكتها ..
سألته :

- « لا صرخات أخرى .. أليس كذلك؟ »

- « بلى .. كان شخصاً سكيراً .. »
أخيراً وصلا إلى جسر آخر .. وقد أدركوا أنهم ضلوا
الطريق حقاً .. هنا لدھشته رأى أناساً يمشون في
شارع مضيء وصار المشهد مائوفاً ..

قال لها :

- « كما قلت : هذه هي (سان زاكاريا) .. لا بد أن
مطعمك ليس بعيداً .. »
وشعر برضاء لأنهما على الأقل سيريان الأصوات
المبهجة والناس بعد كل هذا الصمت والظلم .. ورأى
لافقة (ristorante) - مطعم - تضيء من بعيد ..
دخل المطعم وسط الصخب وصوت الضحك وراحة
البسطرة .. وكانت قائمة الطعام هائلة مكتوبة بحبر
بنفسجي اللون ..

ووقف الساقى ينتظر ما سيطلبان ، وهنا نظر
(جون) حوله فرأى التوعمين في ركن القاعة !
لا بد أنهما وصلتا حالاً لأنهما كانتا تنزعان معطفيهما
والساقى يقودهما للمنضدة ..

المتوفاء تقاسمهما المنضدة .. ياله من سخف ! ولو
كانت (كريستين) حية لكانت في الفراش منذ ساعات ..
كانت (لورا) تصفع ، والأخت المبصرة تتكلم في
جدية .. قال (جون) لنفسه : مخدعتان ! ربما هما
رجلان متذمرون كما خطر لنا في (تورسلو)
وجاء ما طلبه (جون) من طعام عشوائيا .. كان
من المستحيل تمييزه ، وكان غارقا في صلصة
حراء ..

ذابت الصلصة لتظهر شريحتين كبيرتين مما بدا له
كلحم مسلوق متبل بالثوم .. إلا أن الصلصة كانت ذات
مزاق سكرى ! وضع الملعقة وأزاح الطبق بعيدا ،
وهنا كانت (لورا) قد جاءت ..
جلست ولم تقل شيئا .. وسرّه هذا ؛ لأن الغثيان
كان يمنعه من الإجابة .. راحت تأكل طعامها دون أن
تنطق ..

أخيراً قالت :

- « أعرف أنك لن تصدقني .. إن هذا مفزع إلى
حد ما .. لقد ذهبت الأخنان إلى الكاتدرائية وإن كنا
لم نرها .. ونقول الأخت المبصرة : إن (كريستين)

لا بد أنهم كانوا تبعاً لها .. لماذا اختارت هذا
المطعم من كل (فينيسيا) ؟ مالم تكون (لورا) قد
اتفقت معهما عليه .. هناك مطعم صغير قرب كنيسة
(سان زاكاريما) .. سذهب هناك للعشاء ..
كانت (لورا) مشغولة بالقائمة ولم تر الأخرين ،
لكنها سترفع رأسها في آية لحظة وتراهما .. بالفعل
نظرت عبر القاعة وأطلقت شهقة .. إنها صادقة ..
بالتأكيد صادقة ..

- « يا للعجب ! إنهم هنا ! العزيزان .. لقد
رأيتانا .. »
ولوحت بيدها مسرورة ، فاختفت التوعمة المبصرة
وابتسمت .. وأعلنت (لورا) أنها ستنهض لتحبيهما ..
- « بحق السماء ! نحن لم نطلب عشاءنا بعد .. »
- « لن أتأخر أكثر من دقيقة .. »
ونهضت عابرة الغرفة ، وصافحتهما وجذبت مقعدا
خاليا لتجلس جوارهما .. وراحت تتكلم وتبتسم ..
- « لقد فسدت الأمسيّة ! »

فكّر (جون) في ضيق .. ما كان يوشك أن يكون ليلة
بهيجة قد امتلا الآن بروء الأرواح ، و (كريستين)

فِي هَذَا مُرِيبٍ قَالَ :

- « حسن .. هذا يسوى الأمور .. سأذهب إلى موظف الاستقبال وأخبره أتنا سنرحل في الصباح .. »

- « إن (كرستين) فلقة عليك أكثر مني ، والغريب أن الأخت الكفيفة تقول إنك تتمتع بقوى نفسية لا تعرفها .. إنك على صلة بالمجهول وليس أنا ... »

- « ليكن .. إن غريزتني النفسية هذه تدعوني للرحيل الآن .. »

ونادى الساقى كى يدفع الفاتورة ، واختلس نظرة لماندة الآخرين .. كانتا تلتهمان أكوااماً من (السباجيتى) بطريقة غير روحانية بالمرة ..

رطوبة المساء الناعمة التي كانت تغرى بالمشى ؛ قد استحالت الآن إلى مطر صريح .. ورجل أو اثنان يهرعان تحت المظلات .. وقال لنفسه: هذا ما يراه الناس ليلاً .. شوارع خالية ومنازل مغلقة .. أما ما يراه السياح في صور (فينيسيا) فديكور براق للعرض ..

قال : إن الخبراء على حق .. مدينة (فينيسيا) تغرق بيضاء .. وعما قريب تصير تحت قاع البحر .. يا لها من نهاية ساحرة لأمسية توحى بالأمل !

★ ★ ★

W

كانت تحاول الاتصال بنا طيلة الوقت .. تقول : إن خطراً ينتظرنـا لو بقينا في (فينيسيا) ، وترید أن نغادر فوراً .. «

فَكَرْ فِي غَيْظٍ : هَذَا مَا كَانَ يُنْقَصُنَا .. هَاتَانِ
الْأَخْتَانِ تَتَوَيَّنَ تَرْتِيبَ حَيَاتِنَا كَمَا يَتَرَاءَى لَهُمَا .. قَالَ
لَهَا :

- «هاتان الشقيقان غير متزنتين على الإطلاق ..
ويؤسفني أن أقول هذا ، لكنني وجدت فيك حمقاء
حقيقة .. »

«أنت مخطئ .. إنهم صادقان ..»

- « ليكن .. لكن هذا لا يكفي لجعلهما متزنتين ..
بصراحة يا عزيزتى أنت قابلت امرأة عجوزاً في دورة
مياه لتخبرك أنها رأت (كرستين) بجوارنا .. ثم
تحاول بعد هذا - مزهوة بنجاحها - أن تطردنا من
« فينيسيا »
قالت له :

- «لين .. كنت أتوقع هذا منك .. لكن - بصرامة -
قد رأينا زبدة (فينيسيا) ولم يعد ثمة مكان جديداً نراه ..
ولو بقينا هنا لظل وجه (كريستين) الحزين يطاردنـى ،
بتوصـل لي كـي نرحل .. »

ג

كانت (لورا) مفتتحة بأن للأختين دوراً في هذا النذير ، وعلى مائدة الإفطار أخبرها (جون) بخطته : سيركبان سيارتهما التي جاءها بها ، ويستقلان قطار العودة من (ميلاتو) إلى (كاليفورنيا) فهو مهياً لحمل السيارات ..

قالت له وقد بدت لها هذه الخطة بطيئة جداً :

- « يمكننا ركوب الطائرة ، على الأقل سنجد مقعداً شاغراً لي ، وبهذا يكون أحدينا في (إنجلترا) الليلة .. »

وطلبت من موظف الاستقبال أن يحجز تذكرة على طائرة منتصف الليل إلى (لندن) ، وتذكرة أخرى على قطار السيارات لزوجها ..

قال لها (جون) :

- « لا داع للهلع .. إن أربعاء وعشرين ساعة لن تصنع كل هذا الفرق » .

كان الهلع على وجهها فعلاً إذ قالت :

- « ربما لن تصنعه لك لكنها تصنعه لي .. لقد فقدت طفلة ولن أفقد طفلاً آخر .. »

هرعت (لورا) إلى المصعد ، بينما استوقفه موظف استقبال الفندق ليناوله برقية من إنجلترا .. ففتحها فوجد أنها من ناظر مدرسة (جوني) الابتدائية ..

« (جوني) تحت الملاحظة للاشتباه في الزائدة الدودية . في المستشفى الآن . لا تخاف لكن الجراح يرى ضرورة إخبارك »

« تشارلز هيل »

قرأ المكتوب مررتين ثم لحق بـ (لورا) في المصعد ، وناولها البرقية .

- « جاءت هذه إذ كنا بالخارج .. ليست أخباراً طيبة »

وضغط زر المصعد بينما هي تتلو الكلمات المقلقة ..

قالت له :

- « حسن .. هذا يسوى الأمر .. يجب أن نترك (فينيسيا) حالاً .. إن (جوني) هو الذي في خطر وليس نحن .. كانت (كريستين) تحاول إخبارنا بهذا ..

* * *

في الصباح التالي حزمَا حقائبهما ، وأخبرا إدارة الفندق بنية الرحيل ..

- حسن .. حسن ..
وافترح عليها أن يطيرا معا ، ثم — حين تستقر
الأمور ، يرجع إلى (إيطاليا) ويعود بسيارته للوطن ..
قالت له :

- « فكرة سخيفة .. وكيف تنقل كل هذا العتاء
إذن ؟ لا بد من سيارة لنقله .. كل ما سأحتاج إليه في
الطائرة هو حقيبة صغيرة ، ويمكنك أن ترجع
بالسيارة على مهل ومعك كل شيء من متاعنا .. »
صعد لغرفته الملأى بالفوضى ، بينما (نورا)
ترتب كل شيء مع موظف الاستقبال .. فجأة دق
جرس الهاتف .. كانت هذه (نورا) تتحدث من البهو :
- « عزيزتي .. ما كانت الأمور لتكون أفضل .. ثمة
طائرة تغادر (فينيسيا) بعد ساعة ، وهناك (نتش)
سينقل مجموعة السياح المسافرين من (سان ماركو)
خلال عشر دقائق .. هناك من ألغى حجزه على
الطائرة ، وبذا سأكون في (جيتويك) خلال أربع
ساعات .. »

- « سأتصالح حالا .. »

ولحق بها في البهو .. لم تعد قلقة متوتراً بل
مفعمه بالتصميم ، كانت في طريقها ولكن تمى لو
يلحق بها .. ما كان ليطبق البقاء في (فينيسيا) بعد
رحيلها .. ثم الرحلة الرهيبة ليلاً إلى (ميلانو) ،
والساعات الفظيعة في القطار وحده مفعماً بالقلق ..
كانت الريح تهب بشدة في ميدان (سان ماركو) ،
والناس يتاهبون لركوب النتش ؛ إذ قال لها :
- « يمكنك قضاء الليلة عند (آل هيل) .. وأرجو
أن تتصل بي بمجرد وصولك إلى المستشفى .. »
كان النتش مكتوباً بالحروف ، وعليها علامات
(يونيون جاك) الخاصة بالبريطانيين .. نظرت
للقارب وابتسمت ، وقالت :
- « اعتنى بنفسك يا (بعبي) ، واطمئن على .. »
تعالى نفير الرحيل ، فصعدت (نورا) إلى (النتش)
وراحت تلوح بيدها ومعطفها القرمزى يتظاهر وسط
المحيطين بها .

ابتعد (النتش) فراح يرمي بها شاعراً بالحسنة .. ثم
استدار عائداً إلى الفندق .. لقد صارت غرفتهما خاوية

هنا فوجي بـ (لورا) بمعطفها القرمزى تقف
على المعدية الأخرى مع الشقيقين .. بينما الأخت
المبصرة تتحدث بحماس مع (لورا) ، و (لورا)
تصفى وعلى وجهها نظرة ضيق !

مذهولاً نظر ، ولم يستطع الصراخ أو التلويع ..
ماذا حدث ؟ لا بد أن هناك خطأ حدث في رحلة
الطائرة ولم تقلع .. لكن - في هذه الحالة - لماذا لم
تهاتفه (لورا) في الفندق ؟ ولماذا جاءت الأخنان
معها ؟ ولماذا يبدو عليها الضيق ؟

ستعود (لورا) إلى الفندق حاسبة أنها ستجده
هناك ، عازمة على العودة بالسيارة معه .. يا للخلط !
كل ما يوسعه هو أن يتصل بالفندق كي يطلبوا منها
انتظاره حتى يعود ليحضرها ..

وصلت المعدية إلى المرفأ ، فبحث عن هاتف ..
رنين العملات المعدنية .. اصطدام الأرقام .. في
النهاية رد عليه موظف الاستقبال .. قال له :
- «انتظر .. يبدو أن هناك خطأ مريعا .. ابق
السيدة عندك حتى أعود .. »

مقبضه الشكل ، خاصة وحاجيات (لورا) في كل
مكان .. ثيابها .. مساحيقها .. أنبوب معجون أسنانها ..
أنهى حزم متاعه وقرر أن يبدأ رحلته فورا ..
سيدفع الفاتورة ..

وراح يرمي الوفدين الجدد للفندق ، الذين يرمقون
كل شيء في أبهار ، ويومهم الشاب ينتظر من يرتب
الخطط له ..

سيتناول الغداء ثم ينقل متاعه إلى المرآب الذي
تنتظر سيارته فيه .. إن (لورا) الآن في الهواء .. في
طريقها إلى (جونى) .. الآن يمكن للتوءمين أن تستريحَا
وتنعمَا بسلام الروح .. لقد تحققت أمنيتهما ..

أنهى الغداء ولم يرغب في احتساء القهوة ، لأنه
راغب في الرحيل حالا .. وتساءل : ترى متى يعود
ثانية إلى (فينيسيا) ؟ بعد عام ؟ بعد ثلاثة أعوام ؟
ربما لن يعود أبدا ؟

ركب المعدية التي ستقله إلى الجانب الآخر من الماء ،
ورأى معدية أخرى تتجه برకابها إلى (فينيسيا) .. كلهم
سياح سعداء شغوفون ببرؤية المدينة الجميلة .. وللحظة
حمقاء تمنى لو تبادل معهم الأماكن ..

- « للأسف لا .. بل إنني لا أعرف اسميهما .. »
هنا تدخل مدير الفندق ، وقد سمع طرفا من
المحادثة :

- « سأقول لك ما يجب عمله : سأتصل بالمطار
وتأكد من أن الرحلة قد ألغت فعلاً .. وبهذا نصل
لمكان ما .. بين الترتيبات تفسد عادة .. »
- « لا بأس .. »

وأشعل لفافة تبغ وراح ينزع البهو متوتراً ..
يا للخلط ! كان عليها أن تتصل به .. المدير يتكلم
في الهاتف .. يستخدم إيطالية سريعة جداً لم يفهمها
(جون) ، وفي النهاية وضع السماعة قائلاً :

- « هذا غامض جداً يا سيدي .. لقد ألغت الطائرة
في الموعد ، وعلى قدر ما أراه أعتقد أن (السنيورة)
عدلت عن السفر .. »

- « ولماذا تعدل ؟ لقد كانت ملهوفة على العودة »

هزَّ المدير كتفه :

- « أنت تعرف النساء يا سيدي .. »

فكَرَ (جون) بصوت عالٍ .

- « إلا إذا كان لقاء هاتين السيدتين .. »

فهم الموظف الأمر .. وقال (جون) لنفسه : حمدًا لله
إنني رأيتها قبل أن أرحل .. مررت دقائق وراح يتسائل
عن كنه الخطأ الذي حدث في المطار .. لا جدوى من
التخمين .. ستخبره بكل شيء في الفندق ..
وماذا عن الآخرين ؟ فلتذهبا إلى الجحيم .. يمكنه أن
يُتخيل (لارا) تخبره أن العزيزتين لم تلتحقا بالطائرة ..
ترى هل يمكننا اصطحابهما إلى (ميلانو) !!
فجأة وصلت المعدية إلى (فينيسيا) من جديد ..
كم هو مثير أن تعود إلى مكان ودَعْته منذ دقائق ..
دخل الفندق متوقعاً أن يجد (لورا) تنتظره ، لكنها
لم تكن هناك .. أتجه إلى موظف الاستقبال يسأله :

- « ألم تأت زوجتي بعد ؟ »

- « نعم يا سيدي .. »

- « هل أنت واثق ؟ »

- « قطعاً يا سيدي .. فلم أبرح المكان منذ اتصلت
بِي .. »

- « لا أفهم .. لا بد أنها في (سان ماركو) منذ
خمس دقائق .. »

- « ربما رحلت (السنيورة) مع صديقتها إلى
فندقهما .. هل تعرف الفندق ؟ »

قال المدير في تحفظ :

- « ربما ارتكبت خطأ يا سيدى، ولم تكن (الستيورة) هي من رأيت .. »

قال (جون) :

- « لا .. هي زوجتى .. أؤكد لك .. ترتدى معطفاً قرمزاً وبلا قبعة كما فارقتها بالضبط ، ويمكننى أن أقسم على أننى رأيتها هى فى أية محكمة تطلب شهادتى .. »

وأشغل موظف الاستقبال ببعض الضيوف الجدد ،
فسأل المدير (جون) :

- « هل ترى أن نتصل بفندق (تورسييلو) عليهم يعرفون السيدتين ؟ »

- « لا أرى فكرة أفضل .. »

ومرأت دقائق من المحادثة الهاتفية ، ثم قال المدير :

- « إن مدير فندق (تورسييلو) يذكرهما جيداً .. لكنه يقول إنهم جاءتا للغداء فقط ولا يعرف اسميهما .. »

- « هذه هى النهاية إذن .. لا شيء بيدنا سوى الانتظار .. »

وأشعل لفافة تبغه الثالثة ، وراح يذرع البهلو متوقعاً أن يرى معطف (لورا) الأحمر فى أية لحظة .. من المؤكد الآن أن السيدتين أقعنـا (لورا) بروبة روحية ما .. ربما بمشهد الطائرة تسقط .. إنها الرابعة والنصف عصرًا الآن والشمس لم تعد تغمر الماء ..

قرر أن يبحث عنها فى (بياترا سان ماركو) ، وأخبر الموظف بنوایاه فى حالة عودة (لورا) وهو بالخارج ..

قال الموظف :

- « طبعاً يا سيدى سأخبرها .. لا بد أن هذا يشير تقلك يا سيدى .. هل أحجز لك غرفة لهذه الليلة ؟ »
هز (جون) يده بلا حيلة :

- « أعتقد ذلك .. »

وغادر الباب ليمشى فى (بياترا سان ماركو) باحثاً عن معطف (لورا) القرمزى أو التوعمين .. غاص وسط زحام المترجين والمشربين .. لماذا لم تتحقق (لورا) بالرحلة ؟ كل ما بقى له هو أن يبحث عن الأخرين بين مدن الفنادق والبنسيونات المبعثرة فى (فينيسيا) ..

- «زوجتي سرقت حقيقتها في متجر بـ (مارسيليا) ..
أقول إن السارق نشال عادى، لكن زوجتى مصرة على
أنها الفتاة البائعة .. كل الإيطاليين لصوص .. لكنى
متتأكد من أننا لن نجد الحقيقة .. وماذا عنك؟»

قال (جون) كاذباً :

- «حقيقة .. بعض الأوراق المهمة ..
كيف يقول إنه فقد زوجته؟ لا يستطيع مجرد البدء
بالكلام ..

هزَ الرجل رأسه وقال :

- «الإيطاليون يتشابهون .. فقط (موسوليني)
العجز كأن يعرف كيف يتعامل معهم .. هناك
شيوعيون كثيرون هنا هذه الأيام .. لكن الشرطة
لا وقت لديها لمشاكلنا الآن خاصة مع ذلك القاتل ..

- «قاتل؟ أى قاتل؟»

- «لا تقل إبك لم تسمع عنه .. إن (فينيسيا)
كلها تتحدث عنه .. لقد وجدوا امرأة مساححة مذبوحة
الأسبوع الماضي .. ثم وجدوا رجلاً عجوزاً بالجرح
ذاته صباح اليوم .. يقولون إن القاتل مجنون؛
لأنه لا دافع هناك .. ثمة أشياء قذرة تحدث
في (فينيسيا) في موسم السياحة ..»

لابد أنهم قرب كنيسة (سان زاكاري) حيث
قابلهم أمس ، فما كانت العميماء لتبتعد كثيراً عن
الفندق .

اتجه إلى هناك وقد بدت له الفكرة منطقية ..
مشى في الشوارع حائرًا .. وبدأ قلقه يتحول إلى
هلع .. لقد ظفرت المرأة بـ (لورا) وأخذتها إلى
الفندق أو أى مكان آخر ..

توقف أمام مبنى شامخ كتب عليه عبارة (كويستورا)
ـ الشرطة - «هذا هو ما أريد .. سأدخل ..»

كان المكان نشطاً مزدحماً ب الرجال شرطة يدخلون
ويخرجون .. سأله شرطياً عن ضابط يتكلم الإنجليزية ،
فأشار له إلى درجات سلم ..

صعد بضع درجات حيث وجد مكتباً مغلقاً ، ورجلًا
وامرأة يجلسان على دكة خشبية خارج المكتب .. كان
الرجل إنجليزياً ، قال له :

- «تعال واجلس .. إن لنا هنا نصف ساعة
ننتظر .. ما كان هذا ليحدث في وطننا ..»
أشعل لفافة تبغ ، وسأل الرجل عن مشكلته .. فقال
هذا :

وابسموا له ثم رحلا .. وجاء دوره ..
 دخل إلى المكتب لتبدأ الرسميات : الاسم - العنوان -
 جواز السفر .. ثم السؤال .. وببدأ العرق يطفر على
 جبينه وراح يحكي كل شيء .. حين انتهى كان مرهقاً
 كائماً يعاتي إنفلونزا شديدة ..
 سأله الضابط الذي كان يتكلم إنجليزية ممتازة :
 - « تقول إن زوجتك كانت تعانى صدمة عاطفية ..
 هل لا حظت هذا هنا؟ »
 - « نعم .. ولم تتحسن إلا حين قابلت الأخرين ..
 - « ألم تتشاجراً قط؟ »
 - « نعم .. كنا على اتفاق تام .. »
 هز الضابط رأسه وقال :
 - « ربما أصيّبت زوجتك بنوبة حادة من فقدان
 الذاكرة ، فلم تتذكر إلا المرأتين حين رأتهما .. أنت
 وصفتها بدقّة ولا أعتقد أن العثور عليهما عسير ..
 عليك بالعودة إلى الفندق بانتظار الأنباء .. »
 نهض (جون) وغمغم في حيرة :
 - « أنا آسف لشغلكم وقتكم ، برغم اشغالكم بذلك
 القاتل الطلاق .. »

افتح الباب وبرز الضابط : فدعا الزوج وزوجته
 للدخول ..
 وحده بقى (جون) فأشعل لفافه تبغ .. وتماكّه
 شعور غريب بأن هذا كلّه غير حقيقي .. ماذا يفعل
 هنا وما جدواه؟ لن يجدوا (لورا) لقد اختفت للأبد
 مع هاتين الشيطانتين ..
 ربما السفاح الذي يقتش عنده البوليس هو الشقيقان ..
 هذه بالفعل هي بداية (الباراتويا) .. هكذا يفقد
 الناس عقولهم .. ونظر ل ساعته .. إنها السادسة
 والنصف ..
 الشيء الوحيد العاقل الذي يمكن عمله هو أن
 يتصل بمدرسة (جونى) في إنجلترا ليعرف الأخبار ..
 (جونى) المسكين! لقد نسأه تماماً منذ سافرت
 (لورا) ..
 افتح الباب الداخلى ، وخرج الزوجان .. وقال
 الزوج :
 - « نفس الشيء : سيفعلون ما بوسعهم .. يوجد
 أجاتب كثيرون في (فينيسيا) وكلهم لصوص .. أما
 الإيطاليون فوق المساعدة .. »

رفع سماعة الهاتف وطلب الاتصال بـ (إنجلترا) ،
 وأغلق عينيه .. مرت الدقائق ثم سمع الجرس .. قال
 لنفسه : استعد للكارثة .. لا بد أن (جونى) يموت
 الآن أو مات فعلاً ، وعندما لا يبقى لك أحد ..
 بعد قليل سمع صوت ممز (هيل) ، وبيدو أنها
 من البداية كانت تعرف من يتكلم .. قالت له :
 - « هاللو .. لقد أجريت الجراحة له (جونى)
 بنجاح .. وقد أتمها الجراح ببراعة عند الظهر ، ولم
 يعد داع للقلق .. »
 صاح في لهفة :
 - « شكرًا لله ! »
 - « لقد استرخنا جميعاً .. يمكنك الآن الكلام مع
 زوجتك ! »
 جلس في الفراش مذهولاً .. ماذا تعنيه ؟ هنا سمع
 صوت (لورا) الهادئ :
 - « حبيبى .. هل أنت هناك ؟ »
 لم يستطع الإجابة .. شعر بيده مبللة بالعرق حول
 السماعة ، وهي تقول :

كان يريد أن يعرف الضابط ، إنه يربط ما بين اختفاء
 (لورا) وجرائم القتل الجارية حالياً .. قال الأخير
 وهو ينهض :

- « آه .. ذلك القاتل .. أعني أن نقبض عليه
 حالاً .. »

كانت لهجته مطمئنة واثقة .. كل شيء تحت
 السيطرة بما فيه القتلة والزوجات المفقودات
 والحقائب الضائعة ..

وانطلق (جون) إلى الشارع ..

★ ★ ★

لم يعد بوسعي عمل شيء ..
 كل ما يريده الآن هو أن يستريح فوق فراشه ،
 ويتصفح بالمستشفى في إنجلترا ليعرف ما حدث
 لابنه ..

حجرته كانت في الطابق الرابع من الفندق ..
 جرداء ، عارية ، متواضعة ، تملؤها رواح الطهو ..
 طوح بحذائه ومعطفه على مقعد ، وارتدى على
 الفراش ..

وافته المkalمة ..
 كان شعور الارتياب الذى غمره يفوق الوصف ،
 اقرب إلى الدوار .. ومع هذا شعور بأن كل هذا غير
 حقيقي .. كان ما سمعه لم يكن صوتها وهى ما زالت
 مختبئة فى (فينيسيا) ..
 لقد رأها بالفعل فى المعدية .. كانت (لورا)
 لا امرأة تشبهها .. فما التفسير ؟ ولماذا ؟ التفسير
 الوحيد هو أنه هلوس قليلاً .. به حاجة إلى تحليل
 نفسى كما احتاج (جونى) إلى جراح ..
 المشكلة الآن هي الاعتذار للشرطة ومدير الفندق ..
 اعتذارات كثيرة فى كل مكان بسبب تحويل الأعباء
 على كل شخص ..
 لكن الكابوس قد ولى وصار وراءه .. يمكنه التهام
 عشاء شهى والنوم ..
 * * *

نزل إلى البهو ليجد رجل شرطة واقفا مع موظف
 الاستقبال ، فما إن رأه المدير حتى صاح :
 - « إيكولو ! إن الأشياء تتحرك يا سيدى ! لقد
 وجدوا السيدتين ، وقد اصطحبهما رجال الشرطة إلى

- « كان جراحًا بارعاً ، وأنا سعيدة لما تم .. وكانت
 رحلتى طيبة .. لقد وصلت إلى المستشفى بعد انتهاء
 الجراحة .. كان (جونى) مرهقاً لكنه سرّ لرؤيتى ..
 كيف كانت رحلتك إلى (ميلاتو) ؟ »
 لم يستطع أن يعرف صوته الذى أجاب :

- « لست فى (ميلاتو) .. أنا فى (فينيسيا) ! »
 - « (فينيسيا) ؟ لماذا ؟ ألم يدرّ محرك السيارة ؟ »
 - « لا أستطيع الشرح .. كان خلط غبى هو
 السبب .. »
 وشعر بالدموع فى عينيه .. ولم يستطع
 الاسترسال ..
 ببطء قال :

- « ظننت أننى رأيتك فى المعدية مع هاتين
 الأخرين ! »

ساد الصمت .. ثم أثرت عدم التعليق وسألته :
 - « ماذا تتوى عمله ؟ »
 - سأرحل غداً بالقطار إلى (ميلاتو) .. شكرًا لله
 لأن (جونى) تحسن .. أشكرى آل (هيل) وقبلى
 (جونى) ..
 - « اعن بنفسك إذن ، وقد السيارة بحدر .. »

وأنطلق مع المساعد إلى قسم الشرطة ، واتجه إلى المكتب الذي زاره منذ ساعات ..

ولم يكن من رآه هو الضابط الأول بل آخر له وجه شاحب ، والأختان جالستان أمامه في ضيق وتوتر .

قال موجهاً كلامه لهما :

— « لا أرى كيف أعتذر .. خطأ شنيع مني ولا تثريب على الشرطة .. »

قالت الأخت المبصرة :

— « حقاً لا نفهم .. لقد قابلنا زوجتك على العشاء أمس ولم نرها من حينها ، ثم جاء البوليس إلى البنسيون حيث نقيم ؛ ليخبرنا أنك قدمت شكوى ضدنا .. »

تكلم الضابط بإنجليزية رديئة جداً بالنسبة لسابقه :

— « حسن .. هذا تقرير متوء بالكذب إذن ، وترعم أنها الحقيقة ؟ »

— « كنت أحسبها الحقيقة وقتها .. »

— « إذن من رأيت في المعدية ؟ »

— « عينان تخدعن أنا »

(الكويستورا) ، ولسوف يصاحب هذا المساعد إلى المخفر .. »

احمر وجه (جون) ، وفي حياء قال :

— « لقد سببت متاعب للكثيرين .. لكنني وجدت زوجتي في (لندن) .. »

بدت الحيرة على وجه المدير ، وتساءل :

— « (السينوره) في (لندن) ؟ إذن من رأى (السينور) في المعدية ؟ »

— « خطأ شنيع من جاتبي .. أنا آسف .. »

راح المدير يعتذر لرجل الشرطة .. فقال (جون) :

— « اسمع .. أرجو أن تبلغ الأجنبي - المساعد - أتنى سأته معه إلى (الكويستورا) لأعتذر للشرطة وللسيدتين »

بدت الراحة على وجه المدير ، وقال :

— « لقد تضليلت السيدتان ، ولسوف يسرهما هذا .. »

لا يجب أن تسمع (لورا) عن هذا .. فلسوف تشعر بالخجل ..

قالها وقد بدأت بجلزيته تفسد بدورها ليجاري

الرجل :

- « أنا أعتقد أنني أرى الزوجة والسيدتين .. لكن لا .. الزوجة في الطائرة والسيدتان في البنسيون »

- « كل هذا مجهود بلا طائل ؟ تفتش فتشنا .. فنادق بنسيونات من أجل (سنيورينا) .. بينما لدينا عمل كثير جداً جداً .. هل تريد السيدة تقديم شكوى ضده ؟ »

أجابت الأخت المبصرة :

- « لا .. لا .. نريد العودة للفندق فقط .. »

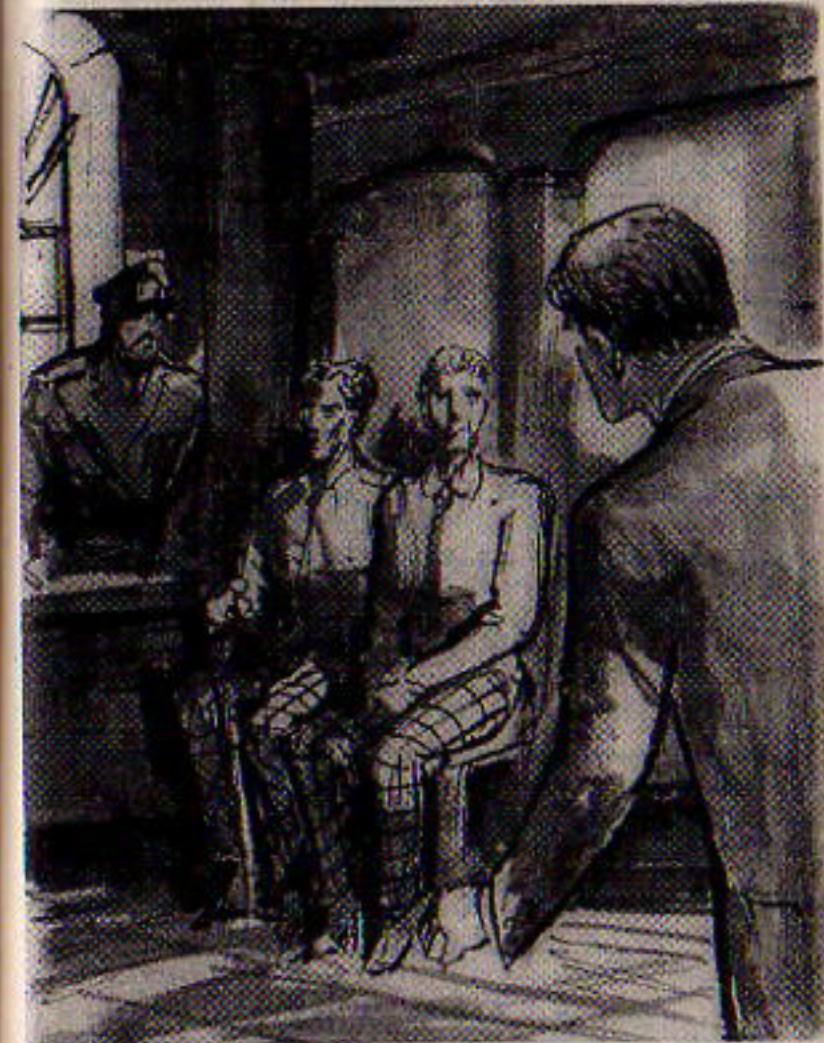
وجه كلامه له (جون) :

- « أنت رجل محظوظ .. لو قدمتَا شكوى ضدك لصار الموضوع خطيراً .. »

وقالت الأخت :

- « لا نريد .. لقد كان خطأ كما نرى ، ونتمنى عدم إضاعة وقتكم أكثر .. »

أمر الضابط أحد المعاونين كي يوصل الأخرين إلى البنسيون ، وتمنى لهم ليلة طيبة وتجاهل (جون) تماماً ..



ولم يكن من رأه هو الضابط الأول بل آخر له وجه شاحب ،
والأختان جالستان أمامه في ضيق وتوتر ..

وللمساعد قالت (جراتسى تاتتو) لتصرفة ، فهز رأسه وتمنى لها نيلة طيبة واختفى .. ولـ (جون)
قالت :

- « هلأ تفضلت ؟ سنقدم لك بعض الشاي »
- « لا شكرًا .. أردت فقط أن أتأكد من أنكما
تفهمان .. »

- « لا مشكلة .. ولو سوف نبقى هنا عشرة أيام
آخرى لو أردت الاتصال بنا .. »

- « هذا هو عنوانى فى (لندن) .. لراهن أن
(لورا) تمنى أن تسمع عنكما .. »

وعلى ورقة من مذكرته شخط عنوانه مع رقم
الهاتف .. وراح يتخيّل (لورا) تخبره ذات نيلة
أن العزيزتين ستترمان بـ (لندن) فى طريقهما إلى
(أسكوتلاندا) وخير ما يمكن عمله استضافتهما فى
الغرفة الخالية .. ثم تدور جلسة تحضير أرواح فى
غرفة الجلوس !

نظر للأخت العمياء فوجد عينيها غير المبصرتين
تزيفان .. أمسكت بيده فجأة بقوة ولم تتركها ..
وصاحت :

قال (جون) وهو يلحق بهما :

- « سأتى معكما لأكمل اعتذارى .. »
وغادروا المخفر ..

قالت له الأخت الكفيفة :

- « أنت رأيتنا حقًا .. لكن ليس اليوم .. رأيتنَا في
المستقبل ! »

كان صوتها أكثر رقة من صوت أختها ..

- « حقًا لا أفهم .. »
واستدار للمبصرة كى يفهم ، فوضعت إصبعها على
شفتيها وقطبت ، وهمست :

- « إنها تملك طاقة روحية هائلة .. لكنى لا أريدها
أن تدخل فى سنة هنا فى الشارع .. »

وتحركوا ببطء عبر الشارع قاصدين جسرين ..
وشعر (جون) أنه يضل طريقه ، لكن لا مشكلة ..
إن مساعد الشرطة معهم على كل حال ..

راح يحكى القصة بالتفصيل للأختين ، حتى وصلوا
إلى مبنى عليه لافتة (بنسيون) .. فوققا ..

- « هذا هو ؟ »

- « نعم .. إنه نظيف مريح .. »

لقد كان هنا مع (لورا) ذات صباح .. إله قريب
 جداً إذن من بحيرة (سان ماركت) و(ريفا ديجلي) ..
 هل يقوده هذا الزقاق إلى هناك ؟ لا .. لا يبدو
 سليماً .. لكنه يبدو مألفاً ..
 هنا تذكر أن هذا هو الزقاق الذي كان يعيش فيه
 مع (لورا) أمس .. لكنهما دخلاه من الطرف الآخر ،
 ومعنى هذا أن بوسعه عبور الجسر ليجد (أرسينال)
 على يساره ، و (ريفا ديجلي) على يمينه ..
 مشى في الزقاق .. وفجأة رأى الطفلة الصغيرة
 ذاتها التي رأها أمس ترکض بين القوارب .. كانت
 تجري وكأن حياتها تعتمد على ذلك .
 كان هناك من يتبعها .. يتبعها ويتوارى وراء
 الجدران كي لا تراه ..
 تذكر الصرخة التي سمعها أمس .. وسرعان
 ما ربط بين رعب الطفلة والمطارد وأخبار قاتل
 (فينيسيا) ..
 قالت له غريزته أن يهرب فوراً عبر الزقاق ، لكن
 ماذا عن الطفلة ؟ ما مصيرها ؟

- « الطفلة ! أستطيع أن أرى الطفلة ! »
 ثم - لحيرته - تذلت الرغواوى من جاتبي فمها ،
 وسقط رأسها للوراء .. صاحت أختها بسرعة :
 - « يجب أن أدخلها ! كل شيء على ما يرام ..
 هي ليست مريضة .. إنها بداية السنة .. »
 حملها بين ذراعيه ، ونقلها إلى الداخل .. جاءت
 امرأة من غرفة داخلية كي تعاونه على إرفادها على
 فراش ..
 كانت أصوات كمن يشرق تخرج من حلق الأخت ،
 ولم يجد ما يفعله سوى أن ينصرف .. فمن الواضح
 أن المرأتين لا تريدانه هنا ..
 خرج من البنسيون إلى الميدان المظلم ، ونظر
 للوراء .. يا لها من أمسية ! إن الأخت المسكينة
 لم تخلص بعد من آثار قسم الشرطة .. لقد أصابتها
 نوبة صرعية من المرعب أن تحدث في داره ..
 ودعا الله لا تزوراه أبداً في (لندن) ..
 ولكن أين هو ؟ إن الشوارع مظلمة ملائى
 بالمنحبيات ، رأى لافتة في ضوء مصباح ، فاجهده
 عينيه ليقرأها : سان جيوفاتى - براجورا ..

سمع الخطوات تندو من الباب ، وسمع طرقات
ومن يصبح :

- «فتح ! بوليس ! »

هنا مدئت يدها إلى كمها وانتزعت مديّة .. وبقوّة
هائلة غرستها في حلقة .. تارجح وسقط والدم يكسو
يديه .. الآن يرى المعديّة وعليها (لورا) تعبر
(الجرائد كانال) ومعها الأختان .. ليس اليوم بل
غداً .. ليس غداً بل بعده بأيام .. الآن يعرف لماذا هم
جميعاً معاً ولماذا جاءوا ..

كان المخلوق ينظر له ، والأصوات تزداد خفوتاً ..
يا لي من أحمق .. ويا لها من طريقة غريبة
للموت

* * *

رأها تفرّ إلى باب مفتوح في منزل ، وهي تطلق
صرخة لا كصرخة طفل خائف ، بل صرخة الجمها
الذعر .. ترى هل من حام لها في المنزل ؟

تبعد خطواتها نحو الباب .. إنها على ما يرام ..
اطمئنني يا طفلتي فلن أتركه يؤذيك .. جرى لي راهما
تركض داخل المنزل المظلم ، وصوت خطوات من
يقتفي أثراها .. وثمة كلب ينبع ..
نحن الآن معاً .. أنا وأنت ..

أغلق الباب وراءه ، ولحسن الحظ كان هناك مزلاج
أحكام غلقه بدوره .. هكذا يمكنه أن يصرخ من إحدى
النوافذ حتى يأتي أحد ، وقبل أن يتمكن الرجل من
فتح الباب ..

قال لها لاهثاً :

- «أنت على ما يرام .. أنت على ما يرام ! »
سقط الكبود من فوق رأس الطفلة .. فنظر لها غير
صدق ، وسرعان ما تحول عدم تصديقه إلى رعب ..
ليست طفلة ، بل هي قزم مرعب ، طوله ثلاثة أقدام ،
له رأس عملاق بالنسبة لجسمه .. وكان يكشر في
وجهه ويهز رأسه لأسفل وأعلى ..

بدأ دورى فى الموضوع فى ١٨ سبتمبر ، حين استدعاى رئيسى بالعمل ، وقال لى : إله سينقلنى للعمل فى (ساكسمير) بالساحل الشرقى .. كان آسفا - كما قال - لكنى الوحيد الذى يملك مؤهلات فنية صالحة للعمل الذى يجرى هناك .. لا لم يخبرنى بتفاصيل .. فقط عرفت أن هناك مجموعة غريبة من القوم تواروا وراء الأسلام الشائكة ، وكان المكان محطة رادار تجريبية منذ أعوام لكنها مهجورة الآن ، والتجربة التى تدور هناك شيء مختلف تماما .. شيء يتعلق بالذبذبات وطبقات الصوت .. قال رئيسى وهو ينزع عويناته ذات الإطار العاجى، ويلوح بها معترضا :

- « سأكون صريحاً معك بشدة .. لقد كان (جيمس ماكلين) صديقاً حمياً لى فى (كمبردج) ثم افترق طريقانا ، وكرس حياته للعمل التجريبى الغامض .. وفقدت الحكومة بسببه الكثير من المال ، كما أنه أضاع سمعته كذلك .. لكنه الآن مستقر فى (ساكسمير) مع فريق من الخبراء ومنحة حكومية ، وهو خبير في الهندسة الإلكترونية .. وقد أرسل

الاختراق



لى إشارة استغاثة بطلب فيها منى شاباً لا يتكلم ..
ولسوف تسدى لى خدمة خاصة لو ذهبت .. «
أما وقد وضع الأمر كهذا ، لم يعد لدى سوى
القبول .. وإن كان آخر ما أريده فى العالم هو أن
أترك شركة (أسوشيد إلكترونيكس لمتد) - AEL -
بتسهيلاتها البحثية ، لأسافر إلى الساحل الشرقي
لأعمل مع رجل مجنون ..

- « ومتى تريدينى أن أذهب ؟ »

- « بأسرع ما يمكن .. ربما بعد غد ؟ آسف
وا (ساوندرز) .. ستعود بشيء من الحظ قبل رأس
السنة .. هذا ليس نقلًا دائمًا بل هو إعارة .. فائت
مهم هنا .. »

كان هذا أكثر ما أحتمل .. سأله :

- « أى نوع من الرجال هو ؟ »

- « إننى أعتبره مت候مساً .. طراز الرجال الذين
لا يتخلون عن شيء ، وهو مجنون بطريقته ، ولن يثير
ملك أبداً .. لقد تزوج ثم جاءت المأساة .. لقد ماتت
زوجته بعدها بعام .. »

لم يطل الأمر حتى حزمت حاجياتى ، واستقللت
القطار ..

عندما أدركت حقيقة موقفى : أنا فى مهمة
لا أرغبها ، ذاهب لوظيفة لا أعرف شيئاً عنها ، وهى
خدمة شخصية لرئيسى فى العمل ..

قال زملائى فى العمل حين عرفوا بذلك
ـ (ساكسمير) :

- « هذه نكتة .. هؤلاء القوم لم يمارسوا بحثاً
جدياً منذ أعوام ، والوزارة تتمنى لو ينسفوا أنفسهم
إلى أشلاء .. »

ونصحونى باصطحاب مصارب الجولف وكتباً كثيرة
معي ، فـ (ماكلين) لا يملك مؤسسة علمية هناك ..
فقط لديه بعض الشباب الذين يعتبرونه نبياً .. ولو لم
ترق له فلن يطلب منك عملًا على الإطلاق ..

وكان المطر يهطل حين نزلت إلى الرصيف الخالي
ال العاصف ..

جاءت سيارة (مورييس) عتيقة لتوقف أمام المحطة ،
وخرج سائقها ليقول لى وهو يتناول حقائبى :
ـ (ساوندرز) .. أعتقد هذا ..
ـ « أنت (ساوندرز) .. أعتقد هذا ..
كان شاباً لا يتجاوز التاسعة عشر .. قلت له :

قال وقد أحمن بافتقاري للحماس :

- « يبدو المشهد كننياً في هذه الإضاءة ، لكن هذا بسبب الأمطار .. الجو غالباً جميل ، ولكن من شروق شمس ممتع هنا ! »

وفهم ضحكتي الساخرة على أنها ضحكة مشجعة ،
فقال :

- « إن الطيور هنا ساحرة لو كنت ممن يراقبونها .. »

وتوقف بسيارته عند بوابة من السلك الشائك ،
ونزل ليفك جنزيرًا ما .. كانت المنطقة كلها محاطة
بهذا السلك على ارتفاع عشرة أقدام ، كان هذا معتقل
نازى ..

وظهر كلب إلزايسى دنا هنا ، وراح يهز ذيله ،
فقلت :

- « أين المدفع الرشاش ؟ »

ضحك الفتى ، وقال :

- « لا مدافع .. إن (سيربيروس) رقيق كحمل .. »
وعبرنا البوابة ، فلم يبد الكلب اهتماماً بنا ..
وفجأة راح يركض نحو البرج ..

- « أنا هو .. كنت أتساءل عن كيفية العثور على سيارة أجراة .. »

- « لن تجد في ليلة مطيرة كهذه .. إن الوافدين يأخذون كل ما يمشى على عجلات ليأخذهم إلى (ثورنوك) .. هلم اركب .. »

كنت قد نسيت أن (ثورنوك) هي قاعدة طيران أمريكية ، وأزمعت أن أتجنبها فيما بعد .. فالأمريكان جنس لا يررق لى بحال ..

قال لي وهو يقود السيارة وصوت قعقة يتعالى منها :

- « معذرة فلم أجد وقتاً لأصلاحها .. اسمى (كين رايان) ويمكنك أن تدعوني (كين) .. »

لم أقل شيئاً .. فاسمي الأول هو (ستيفن) لكن أحداً لم يجرؤ على اختصاره إلى (ستيف) فقط .. كان الطريق ممتدًا بين حقول اللافت وبيوت (ثورنوك) تستراء من بعيد .. والمطباطات كثيرة جعلت رأسى يصطدم بالسقف مراراً .. وعلى الجاتبين كانت المستقعات الكثيفة ، ومن بعيد رأيت برجاً عالياً أمام صفحة السماء ، وإذا نلّينا لمحت ، لرادل .. هذه هي (ساكسمير) .. لم يستطع تشاومى أن يتخيّل مكاناً أكثر قبحاً من هذا ..

واضح أن هذا البار لا يحوى الكحوليات .. صب لى بعض العصير فى كوب وناوله لى .. سأله وأنا أسمع صوت كرات بنج - بونج من مكان ما :

- « أين يقيم العاملون هنا ؟ »

- « لا يوجد عاملون .. لا يوجد هنا سوى (ماك) و (جاتوس) و (روبي) وأنا .. والآن أنت بالطبع .. نحن مجموعة سعيدة .. »

لم أشك فى هذا .. عصير برتقال ، وطيور ، وشموس ممتعة ، وبنج - بونج .. ولكم وددت لو أجرح كبرباء هذا الشاب ، لذا سأله :

- « وما هو وضعك هنا ؟ »

ضحك ، وملأ كوبًا من العصير وقال :

- « أنا خنزير (غينيا) الخاص بـ (ماك) (*) .. مثل مثل ابنه (جاتوس) والكلب (سيربيروس) .. هنا انفتح الباب ، ودلف رجلان إلى الغرفة ..

* * *

(*) خنزير غينيا : حيوان ثديي صغير ، أقرب إلى الأرنب ، يستعمل بكثرة في التجارب الطبية .

- « سيصل إلى المنزل قبليا .. »

كان المطر قد توقف ، وأمتلأت السماء بأشلاء السحب ، بينما وقف البرج وحده أمام السماء النحاسية .. اتجهنا يساراً نحو الرادار حيث المدخل الرئيسى .. وتوقفت السيارة فحملت حقائبى .. وسألت (كين) :

- « أين غرف النوم ؟ »

- « نحن نفعل كل شيء هنا : ننام .. نأكل .. نلهم .. نعمل .. »

وسيقنى إلى ممر يتفرع يميناً ويساراً ، وسألتني :

- « ربما تحب أن ترى غرفتك ، وتأخذ حماماً .. »

واقتادنى إلى غرفة بها فراش ، وفتح الستائر .. إن من سمع هذه (غرفة) لا بد أنه كان يعمل فى مستشفى .. بها كل شيء مهم : إماء الفسيل .. الفراش .. المقعد جوار الفراش ، والملاءات مطوية بأسلوب المستشفيات .. العسكرية منها بالذات .. رأيته يتجه إلى الممر بالخارج فتبعته .. في الخارج كانت هناك لرائكن ومدفأة كهربائية وبار صغير .. وسألتني :

- « قهوة أم شيكولاتة ؟ لم لعلك تفضل عصير البرتقال ؟ »

صافحنى (روبي) صبى الكشافة بدوره ، وقال :
 - « أنا مسؤول المشروع هنا ، وأقوم بكل شيء
 من تفجير الغازات إلى قياس حرارة (كين) ..
 لو احتجت إلى شيء قل لي .. »
 وأدركت أن هذا الصوت الغريب المضحك هو
 صوته ، وليس وليد اللحظة ..
 كانت هناك مائدة معدة لأربعة ، وثمة شخص يقف
 بالنتاظرنا ، له شعر لزج متلاصق .. قدمه لم (ماك)
 قالا :

- « هذا هو (جاتوس) ، وهو يتأكد من أن أحدهنا
 لن يموت جوعا .. »
 وجلسنا إلى المائدة .. مد (جاتوس) يده إلى
 سلطانية كبيرة يتصاعد منها البخار ، ووضع في
 طبقى عجينة لها لون الزعفران ، والغريب أنها كانت
 جيدة المذاق .. استغرق الطعام خمسين دقيقة ، بعدها
 صرت على استعداد لأن أعقد سلاماً مع زملائى ..
 كانت محاديث (كين) هي سلسلة من النكات مع
 (روبي) ، بينما (ماك) لا يكف عن الحديث عن
 خبراته فى تسلق الجبال بـ (كريت) .. وكان هو أول
 من نهض ، وقال :

بالسلبية عرفت (ماكلين) .. كان طوبلا فى
 الخمسين من عمره ، وله عينان زرقاوان باهتان
 أراهما دوماً في السكارى والقتلة والطيارين الحربيين ..
 إن للثلاثة شيئاً مشتركاً في ذهنى .. ذقه وأنفه
 بارزان ، ويرتدى كنزة لها رقبة سلحفاة ..
 أما مرافقه فكان شاباً ناحلاً ذا عوينات ، له مظهر
 صبى في الكشافة ، ولم تزده بقعتنا العرق تحت إيطيه
 جملاً ..

مد (ماكلين) يده لمى ، وابتسمة الترحيب توحى
 بأننى صرت بالفعل واحداً من مجموعته الصغيرة :
 - « سعيد بأن لراك .. إنها أمسية كتبية بالنسبة
 لأول قدوم لك إلى (ساكسمير) لكننا سنفعل الكثير
 غداً .. أليس كذلك يا (روبي) ؟ »
 وضع نراعه على كتفى :

- « سمعنا عنك أشياء عظيمة من AEL .. عصير
 برنتقال للجميع يا (كين) .. يجب أن أقول إننى
 مسرور بقدومك ، وأرجو أن تسمع لمى بأن آناديك
 (ستيف) بدلاً من (ستيفن) !؟
 حاولت أن أبتسم لكن ابتسامتن تحولت لقططيبة ..

من المع العاد أن ننطق أسماء تدليل على اختراعاتنا ، وقد أطلقنا على اختراعنا القديم في AEL اسم (هرمز) ، وهو الرسول ذو الأجنحة بين البشر والأولئك .. أما (شارون) فهو - على ما ذكر - اسم المعداوي الذي ينقل أرواح الموتى عبر ضفاف نهر (ستوكس) .. يا لها من روح دعابة !

سألته في حذر :

- « ما هو دوره ؟ »

- « إن له وظائف عدّة .. لكن ما يعنيك هنا هو الآيات الصوت .. »

وجريدة لي فوجدت أنهم حققوا نتائج أفضل بكثير مما حققتاه في AEL .. لقد كان الصوت واضحاً تماماً ، ولم يعد متربداً بتاتاً ..

قال لي :

- « نحن نستعمل (شارون - ١) للتلويم المقاطيس .. وهو يوجه عبارات للشخص المطلوب تتويمه ، وتبعاً للإجابة يختار أسللة أخرى .. ما رأيك ؟ »

- « هذا رائع .. لقد سبقتم أي عالم آخر بأميال .. ويدهشنى أننا لن نستطيع تطويره في AEL خيراً من هذا .. »

- « أتمنى لكم ليلة سعيدة .. لا تقرءوا لوقت متاخر .. ستنطفئ الأنوار في التاسعة مساءً ! » غادرت المائدة لاحقاً بـ (ماك) .. فرأيته يتجه إلى باب المجاور فباب آخر ، ثم شعرت بالهواء البارد لما بدا لي كنصف معلم ونصف عيادة .. بل إنه يحوى منضدة جراحية تحت ضوء ، وألات متراسمة .. قال (ماكلين) :

- « هذا هو الجزء الخاص بـ (روبي) ، ويمكنه عمل كل شيء هنا ، من تربية فيروس إلى استصال لوزتيك .. »

ثم دخل إلى غرفة ثالثة ملاصقة .. رأيت أننا في قسم الإلكترونيات .. بدا لي هذا كجهاز حاسب آلي عملت فيه من قبل .. حاسب آلي قابل للمحادثة إلا أن عباراته محدودة ، والصوت المنبعث منه غير أدمى بالمرة ..

قال (ماكلين) وهو يقدم الجهاز لي كأب فخور يقدم ابنه للضيوف :

- « جميل .. أليس كذلك ؟ إننا نسميه (شارون - ١) .. »

سأله :

- « مَاذَا ستفعل ؟ »

- « مَاوْقِظُ ابْنَتِهِ الصَّغِيرَةَ ، وَاجْلِبُهَا إِلَى الْهَاتِفِ ..
وَضْغِطْ زَرًّا أَخْرَى ..

بعد دقائق دق جرس الهاتف ، فتناول السماعة
ليقول :

- « هَالُو .. أَنَا آسِفٌ يَا مَسْرُ (جاتوس) إِنْ كُنْتُ
أَيْقَنَتُهَا .. هِيَ مُجَرَّدْ تَجْرِيَةَ .. نَعَمْ .. أَعِدُّهَا إِلَى
الْفَرَاشِ .. أَلُو يَا (نِيكِي) .. لَا شَئْ يُثْبِرُ الْقَلْقَ ،
فَعُودِي لِلْفَرَاشِ الْآنَ .. »

وَوْضُعُ السَّمَاعَةَ ، وَقَالَ لِي :

- « إِنَّ الْأَطْفَالَ مُثْلِ الْكَلَابِ سَهُلٌ تَدْرِيَّبُهُمْ ..
أَوْ - بِشَكْلِ أَخْرَى - حَاسِتُهُمُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلْتَقِطُ هَذِهِ
الإِشَارَاتِ مُتَطَوَّرَةً جَدًّا .. لَقَدْ التَّقَطَتْ (نِيكِي) تَلَكَّ
الإِشَارَاتِ بِسُهُولَةٍ تَامَّةَ ، خَاصَّةً أَنَّهَا تَعْانِي تَخْلُفًا
عَقْلِيًّا يَجْعَلُهَا مُنَاسِبَةً جَدًّا لِهَذَا الغَرْضِ .. »

وَرَبَّتْ عَلَى الصَّنْدُوقِ الْإِلَكْتْرُونِيِّ ، وَنَظَرَ لِي
وَابْنِي :

- « هَلْ مِنْ أَسْنَلَةٍ ؟ »

ثُمَّ تَحْرَكَ (مَاكَلِين) إِلَى جَهَازِ أَخْرَى وَقَالَ :

- « هَذَا هُوَ مَا يَهْمِ الْوَزَارَةِ .. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ
الْطَّائِرَةَ إِذَا تَخْرَقُ حَاجِزَ الصَّوْتِ تَهْشِمُ زَجاجَ النَّوَافِذِ ،
لَكِنَّهَا لَا تَهْشِمُ زَجاجَ نَافِذَةِ بَعْنَيْهِ .. هَذَا هُوَ الْعَسِيرُ
فِي الْمَوْضِعِ ، لَكِنَّ (شَارُونَ - 2) يَسْتَطِعُ هَذَا .. »
وَوْضُعَ كَأسًا زَجاْجِيًّا عَلَى الْمَنْصُدَةِ ، وَشَغَلَ الْجَهَازِ ..

فَارْتَجَ الزَّجاجُ وَتَنَاثَرَ إِلَى أَشْلَاءِ ..

- « لَطِيفٌ .. أَلِيُّسْ كَذَلِكَ ؟ يَمْكُنُكَ إِذَا هَدَافَ
بَعْنَاهَا عَنْ بَعْدِ ، وَلَسَوْفَ يَجِدُ الْجَيْشُ مَا يَهْمِهِ فِي هَذَا ،
لَكِنَّ مَهْمَتِ أَسَاسًا بِدِرَاسَةِ الْاسْتِجَابَةِ عَالِيَّةِ التَّرَدُّدِ بَيْنِ
الْأَشْخَاصِ وَالْحَيْوانَاتِ .. »

وَضْغِطْ زَرًّا أَخْرَى فِي الْلَوْحَةِ ، وَقَالَ :

- « لَنْ تَسْمَعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ .. إِنَّهَا النَّفَمَةَ فَوْقَ
الصَّوْتِيَّةِ الْمُتَحَكِّمَةِ فِي (سِيرِبِيرُوس) ، وَلَسَوْفَ
يَكُونُ خَارِجَ الْغَرْفَةِ حَالًا .. »

وَانتَظَرْ بَعْضَ دقَّاقيْنِ .. بَعْدَهَا سَمِعْنَا صَوْتَ مُخَالَبِ
الْكَلَبِ عَلَى الْبَابِ الْبَعِيدِ .. وَنَظَرَ إِلَى سَاعِتِهِ وَقَالَ :

- « التَّاسِعَةُ وَالرَّبِيعُ .. تَرَى هَلْ تَغْفِرُ لَنَا مَسْرُ
(جاتوس) مَا سَنْفَعَلُهُ ؟ .. »

لدى مسر (جاتوس) مشاكل مع تهشم الأطباق
قبل أن أخترع (شارون) .. وكانت هذه (نيكى)
بالطبع .. «

- « ماذا؟ »

- « نعم » - وراح يذرع المكان جيئة وذهاباً ويداه
في جيئه - « .. كانت الطاقة الروحية لدى الطفلة
قوية متفجرة ، بسبب عقلها المتخلّف .. ثم كونها
التوءمة الوحيدة الحية من توءمين ؛ جعل الطاقة
مضاعفة .. »
كان هذا أكبر مما أستطيع ابتلاعه فضحت ..
قال لي :

- « هناك منّات من هذه الأشياء التي يسمونها
(نشاطاً حركياً) ، وفي كل مرة كان هناك طفل ذكاؤه
أدنى من الطبيعي ، وهذا يقتضي أن يدخل كل منا
جزءاً من هذه الطاقة الغامضة .. يمكنني أن
أسميها (القوة السادسة) .. إنها تعمل كذات
الموجات التي يطلقها (شارون) ، وتفسر كل الأنماط
النفسية .. ولما كانت الطفلة متخلّفة عقلياً كانت
سيطرتها غير الوعية على تلك القوى أقل .. »

- « طبعاً .. السؤال الأول : ما جدوى تدريب
الأطفال والكلاب؟ »
وقلت لنفسي : لو كان هذا هو نوع التجارب
الجارية هنا ، فلا عجب في أن الوزارة أهملت تمويل
هذا المكان ، واعتبرته جنة المخابيل ..
قال لي شارون :

- « إن (شارون - 2) يرسل الإشارات بالضبط
لمن نختاره ، لكن هذا ليس الغرض منه .. إنني
أحاول البحث عن شيء أكبر من هذا .. ولكن دعنا
نترك (شارون - 1) و (شارون - 2) وحدهما هذه
الليلة ، ولنستنشق بعض الهواء .. »

مشيت معه إلى الباب .. إلى الخارج حيث صار
الهواء نظيفاً بارداً ، والسماء ملائى بالنجوم ، ومن
بعد - خلف كثبان الرمل - سمعت هدير الأمواج ..
سألني :

- « هل لديك فكرة عن آل (بولتر جايشت)؟ »

- « الأشباح التي تدق ليلاً؟ بالطبع لا .. »

- « ما رأيته الآن من زجاج يتهشم إلى أجزاء
ليس سوى المبدأ ذاته : قوى كهربائية تتحرّر .. كانت

- « لا .. أحتاج إلى شهرين لا أكثر .. لقد فرغت من اختراع (شارون - ٣) الذى لم تره بعد ، وبه وحدة تخزن تلك الطاقة .. ونحن مستعدون للتجربة حين يعمل (شارون - ١) و (شارون - ٢) ، لكنى بحاجة إلى مساعد متعاون مثلك .. لقد رفض من سبق العمل معنا لأسباب شخصية أفهمها .. لم يستطع أن يبتلي نظرياتي فقط .. »

ومشينا عائدين نحو محطة الرادار المعطلة ، حيث ساد الظلم تماماً ..

تذكرت (كين) في البار يصب لنفسه عصير البرتقال ، ويعتبر نفسه خنزير (غينيا) ..

سألته :

- « ما دور (كين) في هذا ؟ »

صمت قليلاً .. ثم قال :

- « الفتى مصاب بسرطان الدم .. (روبي) يقول إنه لن يعيش أكثر من ثلاثة أشهر .. لكن الفتى شجاع ويثق بالتجربة .. ولو فشلت المحاولة فلن يخسر شيئاً فهو ميت على كل حال .. أما لو نجحنا »

* * *

بن الله (سبحانه وتعالى) يعرف أن الحياة معقدة بما يكفى ، كى لانقضى وقتنا فى البحث عن طاقات غامضة داخل الإنسان ، بهذه التجارب العجيبة ..

قالت له (ماك) :

- « حسن .. ستسطر على تلك القوى .. لكن ألم يزيد هذا من متاعبنا بما لا يقاس ؟ »

- « سيجد الإنسان الطريقة المثلث لاستغلال (القوة السادسة) فى وقت ملائم .. وهدفى هو اختزان هذه الطاقة بعد ما يموت الجسد ! »

نظرت له مذهولاً غير مصدق .. إنه مجنون تماماً ..

قال لي وهو يرمي النجوم :

- « فكر في هذا : كل البشر يملكون تلك الطاقة ، وهى تموت معهم إذ يموتون .. أية خسارة عبر القرون ! الطاقة الحيوية التى لا يحكمها شيء وتوجد فى كل مكان .. »

لابد أن هذا الهراء النظري قد ولد بعد وفاة زوجته .. قلت له :

- « تحتاج إلى عمر كامل كى تبرهن على نظريتك .. »

- « وكذا زملاء (لستر) لم يكونوا شغوفين بالمطهرات .. فـأـى حـمـقـى جـعـلـوـا مـنـ أـنـفـسـهـمـ بـعـدـ ذـلـكـ ؟ ! »^{*}

وابتلع نصف سمكة الرنجة .. فقلت له :

- اسمع .. أنا منبهـرـ بـ (شـارـونـ - ١) ..
لكـنـىـ لـاـعـرـفـ نـفـعـاـلـ (شـارـونـ - ٢) .. أـمـاـ
(شـارـونـ - ٣) فـلـوـ سـمـعـتـ بـهـ الـوـزـارـةـ ،ـ لـاتـهـىـ
بـنـاـ الـأـمـرـ فـىـ مـسـتـشـفـىـ الـمـجـاذـبـ ..
لم يكن الإفطار وجبـىـ المـفـضـلـةـ ،ـ وـكـانـ ماـ رـأـيـهـ
كـفـيـلاـ بـافـقـادـىـ أـيـةـ شـهـيـةـ .. لـذـاـ سـرـرـتـ إـذـ ظـهـرـ وـجـهـ
(كـيـنـ) فـىـ النـافـذـةـ يـقـولـ لـىـ :
- مـرـحـبـاـ .. لـوـ لـمـ تـكـنـ مـشـغـلـاـ يـمـكـنـكـ الـمـجـءـ
معـىـ لـتـزـورـ أـكـواـخـ حـرـسـ الشـاطـئـ .. إـنـ الـجـوـ جـمـيلـ
الـيـوـمـ .. هـلـ أـنـتـ فـىـ الـلـعـبـ ؟ ..
كانـ الإـغـرـاءـ شـدـيـداـ ،ـ فـصـوتـ قـرـمـشـةـ (التـوـسـتـ)
فـىـ فـمـ (روـبـىـ) لـاـ يـحـتـمـلـ ..

(*) (لستر) جراح بـريـطـانـيـ عـظـيمـ ،ـ كـانـ هوـ نـوـلـ منـ اـخـلـ
أـسـالـيـبـ التـعـقـيـبـ الـحـدـيـثـةـ فـىـ الجـراـحةـ ،ـ وـذـكـ فىـ عـصـرـ كـانـ الـأـطـباءـ
فـيـ يـفـسـلـوـنـ بـمـ بـعـدـ الجـراـحةـ لـاـ قـلـلـاـ !

أشـرـقـتـ الشـمـسـ فـىـ الصـبـاحـ التـالـىـ .. نـهـضـتـ
مـنـ النـومـ لـأـرـمـقـ الـطـرـيقـ الـأـسـفـلـىـ ،ـ وـقـرـرـتـ أـنـ
أـرـحـلـ ..

حـلـقـتـ ذـقـنـ وـاسـتـحـمـمـتـ ،ـ وـاتـجـهـتـ إـلـىـ الـإـفـطـارـ
عـازـمـاـ عـلـىـ أـنـ أـنـفـرـ بـ (مـاـكـلـيـنـ) ..
سـأـرـكـبـ أـوـلـ قـطـارـ ،ـ وـبـعـضـ الـحظـ أـكـونـ فـىـ (تـنـدـنـ)
فـىـ الـواـحـدـةـ بـعـدـ الـظـهـرـ ..

لم يكن على المـائـدةـ سـوـىـ (روـبـىـ) الـذـىـ كـانـ
يـنـقـضـ عـلـىـ طـبـقـ مـلـئـ بـالـرـنـجـةـ .. جـلـسـتـ أـمـامـهـ
أـتـاـوـلـ إـفـطـارـىـ ،ـ وـبـحـثـتـ عـنـ جـرـيـدةـ فـلـمـ أـجـدـ .. هـكـذـاـ
صـرـتـ مـرـغـمـاـ عـلـىـ الـمحـادـثـةـ ..
كانـ مـنـهـمـاـ فـىـ تـشـرـيـعـ الرـنـجـةـ بـدـقـةـ خـبـيرـ ،ـ وـفـجـأـةـ
سـأـلـنـىـ :

- « هلـ أـنـتـ الرـحـيلـ ؟ ..
أـثارـ هـذـاـ ذـهـونـىـ ،ـ وـلـمـ أـحـبـ أـسـلـوبـهـ .. قـلـتـ لـهـ :
- « إـنـىـ مـهـنـدـسـ إـلـكـتـرـوـنـيـاتـ ،ـ وـلـسـتـ شـغـوفـاـ
بـطاـقـاتـ إـلـاـسـانـ الـخـفـيـةـ ..»

وسالته :

- « أين أجد (ماكلين) ؟ »

- « في غرفة التحكم .. »

كان يجب عمل هذا فوراً ، لذا هرعت إلى المعمل حيث كان (ماك) واقترب جوار (شارون - ١) ، فما إن رأى حتى قال لي :

- « ثمة خطأ ما لا أدرى إن كان بوسعك إصلاحه .. »

كنت قد جئت لأعتذر وأصارحه بنية الانفصال عن فريقه ، لكنني نم أفعل ..

جلست أمام الحاسب الآلى .. إن الفضول القاتل والكبراء المهنية والغيرة الشخصية كلها كانت ذات تأثير قوى على .. وذبت في عالم الحاسب (شارون - ١) ، وبهرنى جماله وكفاءته .. وربحتي (ماكلين) من لحظتها ..

وفي النهاية وجدت العطل وأصلحته ، وسرعان ما تحول (ماكلين) إلى (ماك) ، ولم يعد تصغير اسمى إلى (ستيف) مما يضايقنى ..

لقد صرت واحداً من الفريق ..

وفي العصر تنزهت مع (كين) يابن من (ماك) ..
كان من العسير أن أصدق دنو الموت من هذا الشاب الجامح .. ربما كان (ماك) و (روبي) على خطأ .. والحمد لله أن هذه ليست مشكلتى ..
مشيت مع (كين) وهو يثرثر ويضحك ، بينما (سيريبوس) يتريض عند أقدامنا ويلقط العصى التي رحنا نرميها له ..
فجأة نصلب الكلب ، ثم انطلق عائداً من حيث جئنا ..
لقد تلقى رسالة من (شارون) .. كان رحيله المفاجئ غريباً ، ونحن على بعد ثلاثة أميال من (ماك) ..
توجهنا يساراً متوجهين إلى القمة .. وكانت هناك مجموعة من أكواخ حرس الشاطئ ، قال لي (كين) : ..

- « تعال نحو المسز (جانوس) ..
تبعنه متراجعاً .. فلأنه ألمت أن أزور أحداً دون إعداد ..

كانت الحديقة غير مُعْتَنِي بها ، وفتاة صغيرة تقف جوار باب الكوخ .. شعرها الأسود يحيط بوجهها الضامر ، وعينها بلا بريق ..

- « مرحباً (نيكى) .. »

أشارت إلى وتساءلت :

- « من هذا ؟ »

- « اسمه (ستيف) »

- « أنا لا أحب حذاء .. »

قالتها في مشاكسة ، ثم حاولت أن تعتلى ظهره ..
بينما هو ينادي ممز (جاتوس) ..

جاءت امرأة سمراء لها وجه ينبع بالرعب ،
حيثنا ودعتنا للدخول ..

في الداخل أحضرت براد شاي لنا وكوبين .. بينما
الطفلة تنهو مع (كين) ولا تكف عن النظر إلى
حذاء ..

كانت هناك صورة للطفلة فوق المدفأة .. وكانت
أجمل بكثير من صاحبها ..
هنا تصلب الطفلة فجأة لأنها في نوبة ، ثم
هتفت :

- « (ماك) يريدى ! »

شعرت بالغثيان إذ خرجت الطفلة لتتصل بـ (ماك)
هاتفيا .. وسألت الأم وأنا أشير إلى الصورة :



فجأة تصلب الكلب ، ثم انطلق عائداً من حيث جئنا ..
لقد تلقى رسالة من (شارون) ..

- « صورة جميلة .. »

لدهشتى امتلأت عينها بالدموع ، وقالت :

- « هذه ليست (نيكى) .. هذه (بنى) اختها ..
لقد فقدناها فى سن خمس سنوات .. »

هنا عادت الطفلة لتعلن :

- « (ماك) يريد أن تعود أنت و (كين) الآن ..
وهكذا غادرنا الكوخ شاكرين للمرأة حسن
ضيافتها .. »

ومن المستقى جوارنا شمنا رائحة العطن ، بينما
الهواء يزداد سرعة ، ومن بعيد جثم البرج فوق
الأفق كوحش ..

* * *

في الأيام التالية طورنا نظاماً للحاسب الآلى ،
يرسل الأصوات حسب برنامج دقيق .. وكان على
هو تحسين دقة الصوت ، بينما البرمجة مسئولية
(ماك) ..

وفي يوم الجمعة أعلن (ماك) أن (شارون - 3)
صار جاهزاً ..

ذهبت إلى المعمل ، بينما جلس (كين) على

منضدة الجراحة ، وكان ثمة مكبر صوت فوق رأسه
يقود إلى (شارون - 1) ، وثمة ضوء أصفر بمعنى
(استعد) ..

تغير الضوء للأحمر ، فأغمض (كين) عينيه ، ثم
جاء صوت (شارون) :

- « هنا (شارون) يتكلم .. هنا (شارون)
يتكلم .. هل أنت بخير ؟ »

أجاب (كين) بصوت مسطح خال من الحيوية :

« أنا بخير .. »

كان قد نام مفناطيسياً الآن ، وتمدد على المنضدة ،
والأسئلة التي كان البرنامج يوجهها له غير عشوائية
بل مرتبة بدقة ، كما اتضحت لدى ..

سؤاله (شارون) :

« هل هناك ما يثير ضيقك ؟ »

- « إنه الانتظار .. أريد أن ينتهي الأمر سريعاً ..
ولا أعبأ بشيء يعدها .. »

واستمر الاستجواب ، لكن كان أكثر ما قاله (كين)
مؤلماً ، ولست راغباً في تكراره هاهنا .. فقد اعترف
بالماء ومخاوفه ، التي لم يصرح بها حتى نفسه قبل
هذه اللحظة ..

ومشيٍت وحيداً إلى البحر الرمادي الثائر ، شاعراً
 بحيرة لا تنتهي ..
 وفي الأيام التالية تكررت التجارب في وجود الطفلة ..
 في البداية كان (شارون) يقول له (كين) إنه في
 السابعة من عمره وأن (نيكي) جاءت لتعجب منه ..
 ثم يقول له (نيكي) إن (كين) جاء ليُلْعِب معها ..
 عندها يسترسل الاثنان في اللهو دون تدخل من
 (شارون) ، وتتمو صداقه حميمة بين الاثنين يوماً
 في يوم ، وهي صداقه لا يُعرفان عنها شيئاً حين يفتقان ..
 ولقد سالت (روبي) عما يشعر به آل (جاتوس) ،
 فقال :

- « إنهم سيفعلان أي شيء من أجل (ماك) ،
 ويحسبان أن هذا سوف يساعد (نيكي) .. »
 - « ويعرفان أن (كين) سيموت ؟ »
 - « أخبرتهما لكنهما لم يصدقوا حرفاً .. من يمكنه
 أن يشك ما دام (نيكي) بهذه الحيوية ؟ »

* * *

في (ديسمبر) جاءنا من (لندن) خبر رهيب ..
 إن الوزارة ترغب في إرسال مفتش يتفقد سير العمل

ثم جاء الصوت يقول له : ..
 - « أنت على ما يرام ولست وحدك .. والآن
 اتهض يا (كين) ..
 فتح (كين) عينيه ونظر حوله ، ثم تسائل :
 - « أقام (شارون) العزيز بعمله على ما يرام ؟ »
 قلت له بصوت مبحوح وأنا كاذب :
 - « مائة بالمائة .. »
 قال لي (ماك) بينما أنا أفك الأسلك :
 - « شكراً يا (ستيف) .. يمكنك الآن فهم احتياجنا
 لآلة بلا مشاعر شخصية لتجري الاستجواب ، ولهذا
 وجد (شارون) .. لكن كانت التجربة لتكون أفضل
 لو كانت الطفلة معه .. »
 - « الطفلة ؟ !؟ »
 - « نعم .. هي مهمة جداً ، وبدورها تأم
 مقاططيسيًا ، وتبدأ في الثرثرة كصراصير الحقل معه
 دون تدخل من (شارون) .. وحين يفتقان لا يذكران
 شيئاً مما حدث .. إن (كين) في النهاية سيدخل في
 غيوبه ، وستكون (نيكي) الصغيرة هي وسيلة
 الاتصال الوحيدة به عندئذ .. ».

وشعرت بالفُشْعَرِيرَةِ إِذْ أَرْدَفَ :

- «لقد أصَبَّ (كين) بعدوِي فِي رَنْتَهِ الْيَمْنِيِّ ،
وَهِيَ فِي الْغَالِبِ قَاتِلَةٌ مَعْ فَقْدَانِ الْمَنَاعَةِ الْمَصَاحِبِ
لِسَرْطَانِ الدَّمِ ..»

وَفِي الصَّبَاحِ جَاءَ (ماك) لِغَرْفَتِي لِيُخْبِرَنِي :

- «أَنَّ الْأَمْرُ أَسْوَى .. وَلِسُوفِ يَجْرِي (روبي)
نَقلَ دَمَ لِلْفَتِي ..»

- «قُلْ لِي مَا عَلَىَّ أَفْعَلَهُ ..»

- «سَاعَدَنِي عَلَىِّ إِعْدَادِ (شارون - ١)
وَ(شارون - ٢) .. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ (كين) كَانَ عَلَيْنَا
أَنْ نَبْدُّ الْمَرْحَلَةَ الْأُولَى مِنْ مَشْرُوعِ (ستِيكِس)، وَقَدْ
أَخْبَرَتْ مَسْزِ (جاْتُوس) أَنَّا قَدْ نَحْتَاجُ إِلَىِ ابْنَتَهَا ..»

وَفِي الْمَعْمَلِ كَانَ (كين) مَعَ (روبي) ؛ بَيْنَمَا
عَمِلَتْ أَنَا عَلَىِ الْجَهَازِينِ ، وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىِ
مَا يُرَام .. وَبَعْدَهَا حَدَثَ تَحْسِنٌ طَفِيفٌ لـ (كين) ..

فِي الرَّابِعَةِ وَالنَّصْفِ جَاعِنِي (روبي) فِي قَاعَةِ
الْبَنْجِ - بُونِجِ ، وَمِنْ وَجْهِهِ عَرَفْتُ أَنَّ الْأَمْرُ لَيْسَ
عَلَىِ مَا يُرَام .. هَذِهِ رَأْسِهِ حِينَ افْتَرَحَ (ماك) نَقلَ دَمَ
آخِرَ ، وَقَالَ إِنَّ هَذَا مَضِيَّةٌ لِلْوَقْتِ ..

فِي (ساكسِمير) .. وَقَرْتَ أَنَّ أَذْهَبَ أَنَا إِلَىِ (لَندَن) لِأَكْتِمْ أَنْفَاسِهِمْ .. لَقَدْ صَرَتِ الْآنُ مَعَ (ماك) فِي كُلِّ
شَيْءٍ يَفْعَلُهُ ..

وَهَكُذا اسْتَطَعْتُ إِقْتَاعَ مَسْلُولِي الْوَزَارَةِ بِأَنَّ زِيَارَةَ
فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ هِيَ اسْتِبَاقُ لِلنَّضْجِ الْثَّمَرَةِ ، لِكُنْتَا
نَأْمَلُ فِي ظَهُورِ شَيْءٍ قَبْلَ رَأْسِ السَّنَةِ ..

عَدْتُ إِلَىِ (ساكسِمير) .. لِكُنِيَّ - عَلَىِ الْمَحَطةِ -

لَمْ أَجِدْ (كين) يَنْتَظِرُنِي بِسَمْتِهِ الْمَشْرُقَةِ ، لَقَدْ
أَصَبَّ بِالْبَرِدِ وَلَزِمَ الْفَرَاشِ ..

كَانَ الْفَتِي فِي الْفَرَاشِ مَحْتَقِنَ الْوَجْهِ ، لَكِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِ
مَمْتَازَةٌ ، وَقَالَ لِي :

- «لَا تَقْلِقْ .. لَقَدْ اصْطَدَتِ الطَّيْوُرُ فِي الْمَسْتَنقَعِ ،
وَابْتَلَتْ قَدْمَائِي قَلِيلًا ..»

رَحَتْ أَحْكَى لِهِ عَنِ (لَندَن) ، ثُمَّ فَارَقَهُ لَأَرْزِي
(ماك) .. الَّذِي قَالَ لِي :

- «لَقَدْ ارْتَفَعَتْ حَرَارَتِهِ وَأَجْرَى (روبي) تَحْلِيلًا
لِدَمِهِ .. لِيُسْتَنْتَجَ مَطْمَئِنَةً جَدًّا ..»

وَصَمَتْ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ بِرْهَةٍ :

- «لَرِبِّما كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَرَةِ ..»

- « هل ما زال بوعيه ؟ »

- « نعم .. »

كان الجزء الثاني من عملية (ستيكس) ، يتضمن وضع وحدة أوكسجين جوار فراش (كين) ، وإعداد مكبرات الصوت .. كل شيء تم التدرب عليه من قبل طويلاً ..

لقد انتظر (ماك) هذه اللحظة لعدة أشهر .. وربما أعوام ..

ضغطت على زر (شارون) ، واختلت نظرة إلى (كين) .. حاقد تبدل تماماً ، واختفت عيناه اللامعتان في وجهه المجنع ، وبدا حائراً إذ ثبت (روبي) الأقطاب على صدغيه وصدره .. كان يعرف أن هذه آخر مرة يرأتها فيها وهو بكامل وعيه ..

شغلت النظم كاملأً ليعالى الصوت : هنا (شارون) ينادى .. هنا (شارون) ينادى .. وأغمض الفتى عينيه ..

سأله الحاسب الآلي :

- « كيف تشعر يا (كين) ؟ »

حرك شفتيه ، وبعسر سمعنا الإجابة :

- « أنت تعرف كيف أشعر ! »

- « وأين أنت ؟ »

- « إن الجو بارد .. بارد .. هم يريدون تجميدى كاللحم لدى الجزار .. قل له (روبي) أن يعيد الحرارة .. إننى أقف أمام نفق .. كأنه الناحية الأخرى من تلسكوب .. قل له (روبي) أن يعيد الدفء .. »

وثب البرنامج إلى النقطة التالية على الفور :

- « إن عمرك خمسة أعوام يا (كين) .. قل لنا ما تشعر به .. »

ساد الصمت ، ثم همس (كين) كما توقعت :

- « أنا لست على ما يرام ، ولا أريد أن ألعب .. هنا افتح الباب ودخلت (نيكي) .. لقد استدعاهما (ماك) الآن ، ولم تكن ترى ما يدور : لأنها كانت تحت السيطرة ..

جلست على مقعد .. وأغلقت عينيها ..

- « قولي له (كين) إنك هنا يا (نيكي) .. اعتصرت مسندي المقعد بيديها ، وقالت :

- « (كين) مريض .. لا يريد أن يلعب .. »

- « إجعلني (كين) يتكلم يا (نيكي) .. »

بدالى كأنها تصلى ثم أرکت أنها تتخذ وضع الجنين
في بطن أمه .. وتتجدد وجهها فبدت كامرأة عجوز ..
وقال (روبي) وهو يتحسس نبض الفتى :

« إنه يرحل .. »

بدت الإشارات على الشاشة خافتة ، ثم تزايدت
فجأة .. وقال (روبي) :

« انتهى الأمر .. إنه ميت .. »
لكن الإشارة لم تنتفع .. وقال (ماك) في حماسة :
« لقد فعلناها ! »

ووقفنا عدة دقائق نرمي شاشة (شارون - ٣)
الذى اختزن الطاقة السادسة فى عقل (كين) ، إلى
أن قال (روبي) :

« ماذا عن الطفلة ؟ »

كما قد نسيناها تماما .. ومددت يدى لاغلاق
الحاسب لكن (ماك) منعنى :

« دعها لنر ماستقول .. »

واستدعاها بالإشارة .. مكررا آخر جملة قيلت :
« أبقى مع (كين) .. قولى لنا ماذا يحدث .. »
في النهاية تراخى جسدها .. وراحت تهتز أماما
وخلفا ، وبصوت بدالى غريبا مبحوحأ قالت :

- « (كين) لن يتكلم .. إنه يتلو صلاة .. »
وببدأت الطفلة تضرب الأرض بقدميها .. وقالت :
- « لن أذهب فى النفق يا (كين) معك .. إنه
مظلم .. »

- « أذهبى خلف (كين) يا (نيكى) ! »

- « لكنه مظلم .. »

وراحت تصدر حركات متلوية لليمين واليسار
بحسدها ، وتبكي :

- « لا أريد أن أذهب .. إن النفق طويل .. »
أمر (ماك) بتثبيت قباع الأوكسجين على وجه
(كين) ، ثم واصل التجربة :

- « أبقى مع (كين) يا (نيكى) .. »
تمنيت لو كان (ماك) يعرف ما يفعله .. ماذا لو
دخلت الفتاة فى غيبة ولم تستطع إستعادتها ؟
وأمرنى (روبي) أن أضع بطانية على جسد الفتى
الهامد .. وعلى شاشة (شارون - ٣) رأينا الموجات
الكهربية التى تدور فى رأس (كين) الآن ..
فجأة عقدت الفتاة يديها على صدرها حيث جلست ،
ثم ثنت ركبتيها إلى بطنها ، وسقط رأسها إلى الأمام ..

شهيق يأخذه الوليد .. لقد عاد (كين) في أثناء الاحتضار إلى تلك اللحظة ، وكانت (نيكي) معه .. قلت له :

- « إن صعوبة التنفس حدثت بعد وفاة (كين) .. لا يمكن أن يكون (كين) قد عاد للحظة الميلاد .. لأنه كان قد مات فعلاً .. ألا ترى هذا معنى ؟ » لم يجبني .. قال بعد صمت :

- « لا أعرف .. لا أعرف .. هنا عاد (روبي) وقال لنا :

- « لقد نالت الطفلة ما يكفي .. لقد أرسلتها للبيت وأمرت أمها أن تدخلها الفراش .. » ولم أكن قد سمعته يتحدث بهذه النبرة من قبل .. وأردف :

- « ألا ينطبق هذا علينا جميعاً ؟ سنحتفل بالأمر غداً لكن ليس الليلة .. »

كان على وشك الانهيار العصبي ، وكذا كنا جميعاً .. بعد قليل جاء (جاتوس) ليخبرنا أن ابنته نامت على الفور .. لقد انتهى الأمر فلم يبق إلا أن نتناول عشاءنا ، ثم نظر براحة النوم العظيمة ..

- « إنه يرجوكم أن تتركوه .. دعوه يرحل ! » وبدأت تشقق من أجل التنفس ، وتتهازز :

- « دعوه يرحل ! دعوه يرحل ! » قال (روبي) في توتر :

- « (ماك) ! يجب أن توقفها ! » وبدأت الطفلة تشرق وتنتمي أكثر فأكثر ..

لم أنتظر (ماك) وضغطت على الزر لتعالى صوت (شارون) :

- « انتهى الأمر .. انهض يا (نيكي) .. زال الاحتقان عن وجهها .. وببطء فتحت عينيها ، ونظرت إلينا ، ثم باكferar قالت لنا :

- « أريد الذهاب إلى الحمام .. » فاقتادها (روبي) إلى هناك .. قال (ماك) لى بصوت حاد :

- « لو لم يصبك الهلع وتوقف التجربة ، فلربما عرفنا أكثر .. »

- « الطفلة كانت تخنق .. »

- « لا أعتقد هذا .. لقد كانت تمر بـ (صدمة الميلاد) .. وما بدا لك اختباقاً لم يكن سوى أول

- « مالم يكن مانراه على الشاشة هو جوهر وجود (كين) نفسه .. »
نظر لي غير مصدق ، ورحنا نرمي الإشارة على الشاشة .. عندها فقط بدأ إحساسنا بالرعب والذعر ..
- « (ماك) .. ما هذا الذي فعلناه ؟ »

* * *

في الصباح اتصلت بنا مسر (جاتوس) لتخبرنا أن (نيكي) تقوم بأعمال غريبة .. ولا تكف عن القفز للأمام والخلف .. لم تكن محمومة .. لكنها لم تأكل إفطارها ولم تتكلم ..
جلسنا في غرفة الطعام شاردين .. ونهض (روبي) مسرعة قائلًا :
- « سأذهب على الفور .. هذا تأثير ما حدث أمس ، وما كان لي أن أسمع به .. »
- « قال (ماك) :
- « أنت تعرف أن هناك خطراً من البداية ، وبرغم هذا وافقت .. »
- « كنت مخطئاً .. هذا كل شيء .. »
- « ما كنا لننجي بدونها .. »

لمن حافظاً أقوى منه دفعنى إلى العودة وحدى للمعلم .. كان كل شيء كما تركناه والجسد مغطى بالملاءة .. والشاشة تترافق عليها الإشارات .. أدرت الشريط لأسمع آخر ما قالته الطفلة :
- « إنه يرجوك أن تتركوه .. دعوه يرحل ! »

ثم تعالى شهيقها المختنق .. رفعت رأسى فوجدت (ماك) واقفاً عند الباب والكلب معه ..
- « (سيربيروس) قلق .. إنه لا ي肯 عن الحركة في غرفتي ، ولا يدعنى أنام .. »
قلت :

- « (ماك) .. ثمة شيء خطأ .. »
- « انظر إلى الشاشة تر الإشارة .. لقد نجحت التجربة .. إن الطاقة هنا .. »
- « نعم .. لكن هل هذا كل شيء ؟ عندما قالت الطفلة هذا ، كان (كين) ميتاً .. ما الذي قال دعوني لرحل ؟ هل كانت له شخصية قادرة على الكلام ؟
مالم »
- « مالم مازا ؟ »

- « أنا خائفة .. ثمة ساعة تدق في مكان ما ،
وأنا لا أحبها .. »

- « أين هي يا (نيكى) ؟ »
لم ترد .. بعد قليل قالت :

- « هي في كل مكان وأنا لا أحبها .. (بينى)
لا تحبها كذلك .. »

(بينى) ؟ هنا تذكرت أنها اختها التوأم المتوفاة ..
كل هذا لا يحتمل .. ما كان لنا أن نزج بالطفلة في
هذا كله ..

أدأر برنامج (شارون - 2) ليتعالى الأمر :

- « ابقى مع (كين) .. قولي لنا ماذا يحدث .. »
هنا صرخت .. ولا بد أنها سقطت أرضًا لأننا سمعنا
السماعة تسقط ، ثم جاء صوت (روبي) :

- « بحق السماء يا (ماك) .. ستفتها .. كف
عن هذا ! »

- « وماذا تفعل هي ؟ »

- « مثل أمن .. كأنها تختنق .. انتظر .. إنها
تريد أن تكلمك .. »

وبعد لحظات جاء صوت الطفلة :

وأنطلق (روبي) دون كلمة ليستقل سيارته ..
عدنا إلى المعامل حيث كان (جانوس) يعذ جثة
(كين) المسكين .. هنا دق جرس الهاتف وسمعت
صوت (روبي) :

- « يجب أن نبعد الطفلة .. تبدو نى الحالة
ك (كاتاتونيك شيزوففرنيا) .. إن ممز (جانوس)
لا تستطيع التصرف ، ولو سمع (ماك) سأخذها إلى
العيادة النفسية في مستشفى (جاي) .. »

شرحـت الأمر لـ (ماك) ، فتناول السماعة وقال :

- « اسمع يا (روبي) .. أنا مستعد لتحمل مسؤولية
وضع الطفلة تحت سيطرة (شارون) ثانية .. »
لم يهد (روبي) متحمسا .. فأشار لـ (ماك)
ون AOLنى السماعة :

- « قل لـ (روبي) أن ينتظر قليلا .. »
واتجه إلى (شارون - 2) وشغله .. وسرعان
ما بدأت إشارة الاستدعاء ..

هنا سمعـت (روبي) يصرخ : ماذا حدث ؟ ثم
صوت السماعة يسقط .. أصوات بعيدة وصراخ لمدة
دقيقة .. أخيرا جاء صوت (نيكى) في الهاتف ..
كانت حائرة خائفة ، وقالـت لـ (ماك) :

يخبرنا بأن سيدين قد جاءا من الوزارة ، وهما يرددان
 د. (ماكلين) حالاً لأمر ملح ..
 خرجت لأتقاهما .. وتركت أحدهما من قابلت في
 (لندن) .. قدم لي اعتذاره وقال : إن معاون (ماكلين)
 السابق المستقيل قد قابلهما ، وأخبرهم أنه استقال بسبب
 أبحاث (ماكلين) الغامضة التي تجهلها الوزارة ..
 - « سيكون معكما حالاً .. وإلى هذا الوقت يمكنكم
 سؤالي عما ترددان .. »
 - « نحن هنا لنرى ما حققتم .. »
 - « أنا آسف .. لقد توقفنا عن العمل منذ فترة
 بسبب فقد أحد أعضاء الفريق (كين رايان) أصيب
 بسرطان الدم وتوفي أمس .. »
 تبادلا النظارات .. ثم قال الرجل الأول :
 - « سمعنا عن هذا ، وسمعنا أن التجربة الجارية
 تتصل بمرض الفتى .. »
 - « هذه معلومة خطأ ، وحين يعود (روبي)
 يمكن أن يخبركم بالتفاصيل الطيبة .. »
 كنت أعرف أن ما أقوله لن يمنعهما من دخول
 المعمل ..

- « دعوه يرحل ! دعوه يرحل ! »
 - « هل أنت على مايرام ؟ »
 - « دعوه يرحل ! »
 وضع السجادة ، وراح يرافق الإشارة على
 الشاشة ، وبدأ لي كائناً ازداد إرهافاً وشيخوخة لكن
 عينيه تلمعان رهبة .. وهمس :
 - « ربما أنت محق .. معنى هذا أتنا اخترقا ! »
 ثم غمغم :
 - « لقد تغيرت الإشارات إذ تكلمت الطفلة ..
 لقد جاءت الإشارات من القوة السادسة الخاصة
 بـ (كين) .. يجب أن تحضر الطفلة هنا أمام
 (شارون) للستجوبها وفهم أكثر .. »
 - « (ماك) .. هل تريد قتل الطفلة أو أخذها
 لمستشفى المجاذيب ؟ »
 في قتوط نظر إلى الشاشة ، وقال :
 - « يجب أن أعرف يا (ستيف) .. يجب أن أعرف ..
 إن كل هذا يغير معنى الحياة للأبد ، ومعناه أن القوى
 السادسة لم تفن منذ وجد الإنسان على الأرض .. »
 هنا دق جرس الهاتف .. كان هذا صوت (جاتوس)

كان (سيربيروس) يركض بجوارى .. ينظر لى
 من آن لآخر ..
 لقد حطم (ماك) - بيديه - الخيط الوحيد الذى
 جلبنا هاهنا .. لقد امتلكه بضع ساعات .. وكان
 يقودنا لعالم تلو عالم من الاكتشافات ..
 الآن قل تصديقى بالأمر .. ربما كنا مخطئين ..
 خدعتنا عواطفنا وألام طفلة مختلفة عقلياً وخائفة ..
 سعدت إلى الهضبة لأرى أكواخ حرس الشاطئ من
 على .. ورأيت (روبي) يخرج من الكوخ مع الطفلة ،
 وكانت على ما يرام ..

جرت لتحبى الكلب .. ثم راحت ترکض ، ذراعاها
 فوق رأسها ، تضحك ، ترقص ، والكلب ينبع فى
 إثراها .. ودوت أبواق من القاعدة العسكرية الأمريكية ..
 ثم لم يعد من صوت سوى النباح ، ورقص الطفلة ،
 والأبواق الرفيعة تتردد فى السماء ..

★ ★ ★

ودخلتنا لنجد (ماكلين) واقفا أمام (شارون - 3) ..
 كانت الشاشة تلتمع لكن ما من إشارة عليها ..
 لاحظت هذا ولم أقل شيئاً ..
 قال لى (ماك) دون أن يعبر الرجلين انتباها :
 - « نعم .. لقد فصلت كل شيء ، وفقدنا القوى ! »
 شعرت بدلاً من الراحة بالشفقة .. الشفقة على
 الرجل الذى دمر فى خمس دقائق عمل أشهر كاملة ..
 - « لم ينته الأمر بل بدأ .. وما حدث لن يعرفه
 سوى ثلاثة .. كنا على حافة اكتشاف لم يتصوره
 أحد .. لكن ما قالته الطفلة أثار قلقى ، ولهذا أطلقت
 سراح الطاقة .. إن (كين) حرّ الآن وكذا الطفلة ..
 لكننى مستعد لمواصلة البحث حتى آخر أيامى .. »
 ثم همس :

- « قل لهذين الموظفين إن تجاربنا فشلت ، وإننى
 تركت العمل .. الآن يا (ستيف) نحن ملك أنفسنا ..
 إن الطفلة ستكون على ما يرام فاذهب إليها وابعث لى
 بـ (روبي) .. سأتعامل أنا مع هذين (المخبرين)
 من الوزارة .. »

توجهت إلى الخارج ، ونظرت إلى المستنقع ..

مهنئى هى معلم أو كاتت معلمًا ، وقد قدمت
استقالتى لناظر المدرسة قبل أن يجئ طردى الذى
لا مفر منه ..

كان السبب الذى قدمته للاستقالة هو المرض ،
بسبب عدوى التقطتها فى أثناء عطلة فى (كريت) ،
ولربما اضطررتى للبقاء فى المستشفى عدة أسابيع ..
لم أوضح طبيعة المرض لذا عرف وقام بالباقي ..
إن شكاوى عاممة ، ومنذ أقدم العصور كانت تبعث جوًا
من المرح والسخرية لدى الناس ، حتى يتجاوز
المريض الخط ، ويصير تهديدًا للمجتمع ..
يتحاشى بعض الناس أن يقابل عيوننا ، وترك
وحدهنا نحو الخروج من الخندق أو نظل هناك حتى
نموت ..

وللن بدوت مليأاً بالمرارة ، فلأن عدواى جاءت
وأنا برىء تماماً ..

ربما استطعت أن تعزو عدوى مماثلة إلى الوراثة
أو الإهمال أو مشاكل الأسرة ، ويلقى أمثالى بأنفسهم
على أريكة المحل النفسي ، يسكنون ما فى أنفسهم
ويشفون .. لكنى عن ذلك عاجز ..

ليس بعد منتصف

الليل



إن الطبيب الوحيد الذي صارحه بما بس؛ تكلم
قليلًا عن (الشعور المكتوب بالذنب) وأعطاني بعض
أعراض ، ربما تحسنت لو أخذتها لكنني لم أفعل ..
أنقيتها في الباتووعة .. وزاد حالتي سوءاً الشباب
الذين كنت اعتبرهم أصدقائي ، والذين كانوا يتغامزون
عندما يرونني أو يحبسون الضحك ، حتى جاء اليوم
الذي قررت فيه عجزي عن الاستمرار ، وقرعت باب
الناظر ..

حسن .. لقد فرغ هذا .. انتهى .. والآن أريد أن
أشرح ما حدث في المقام الأول .. ومهما يحدث لى
سيجدون هذه الأوراق ، ويمكن للقارئ أن يقرر أن ما
حدث كان نتيجة لخوف فوق الطبيعي ، أو أنه
سقطت فريسة لسحر قديم أسود شرير ، فقدنا جذوره
منذ فجر التاريخ ..

كان الوقت في (أبريل) - عيد الفصح - وكانت قد
زرت (اليونان) كثيراً ، لكنني لم أزر (كريت) .. لم
 يكن غرض زيارتي لـ (كريت) هو رؤية أطلال المدن
القديمة كـ (كносوس) وـ (فيستوس) ، ولكن كى
أمارس هوادة شخصية .. كانت لدى موهبة في الرسم

بالزيت ، وقد أمتدح عملى بوساطة صديق أو اثنين
من هواة الفن ..

هنا أتحدث باختصار عن حياتي : أنا عزب ،
في التاسعة والأربعين ، والداى متوفيان ، تعلمت في
(أوكسفورد) وألعاب الجولف والبريدج ..

أهوى الرسم والسفر حين أجد المال .. خطاياى حتى
الآن هي - حرفيًا - لا شيء .. ليس هذا غروراً ..
لكنى رجل خمول غير مندفع عاطفياً ، ولم يضايقنى
هذا قط .. وكنت أكره الاختلاط بالناس .. لى صداقات
غير عميقة لأن تعصيق الصداقات يؤدي دوماً إلى
كارثة ..

سافرت إلى (كريت) لا أحمل سوى حقيبة صغيرة
وأدوات الرسم ، وقد أوصى لى عميل شركة سياحة
بندق يطل على خليج (ميرابلا) على الساحل
الشرقي .. شاليهات على البحر مباشرة ، ولست
مبذراً ، لكنى سمح لنفسى بأن أضيف نفقاتى تكاليف
استئجار سيارة (فولكس فاجن) صغيرة ، لدى
وصولى إلى مطار (هيراكليون) ..

قطعت أربعين ميلاً مرهقةً في الطريق لوجهتى،
خاصةً وأنا سائق حذر، في طريق متعرج رهيب ..
أخيراً وصلت إلى الفندق، فتناولت الغداء في الشرفة
المطلة على البحر، وبعدها افتادنى الساقى إلى حديقة
ملأى بأشجار (الجيبراتيوم)، وبها شاليه يطل على
البحر، وأسرة إنجليزية ابتسمت لى الأم فيها من
الشرفة .. ورأيت رجلين يلعبان الجولف ..

صحت محتاجاً :

- « هذا غير وارد .. لقد جئت هنا كى أرسم البحر
وحدى .. »

وعدت إلى الفندق لأقول لموظف الاستقبال :
- « لا بد أن هناك خطأ .. لقد طلبت شاليها يطل
على البحر، والخصوصية بشكل خاص .. »
ابتسم واعتذر، وراح يقلب الأوراق .. إن وكيلى
لم يحجز لى شاليها على البحر .. ربما بعد أيام يلغى
أحدهم الحجز، سأكون مستريحاً حيث أنا ..
قلت غاضباً وأنا لا أطيق فكرة السجن مع تلك
الأسرة الإنجليزية :

- « أنا بروفسور أدرس الفن .. وعلى تنفيذ

مجموعة رسوم ما دمت هنا ، ومن المهم أن أرى
البحر ، وألا يكون حولي جيران »

كان جواز سفرى قد كتب فيه أنتى (بروفسور) ،
وهي أرقى من لفظة (أستاذ) .. وكانت تشير الاحترام
دائماً ..

راح يقلب الأوراق أمامه مرهقاً .. فقلت :

- « لا أصدق أن كل الشاليهات محجوزة .. الوقت
مبكر جداً .. ربما حين يتوجل الصيف ، لكن ليس
الآن .. »

وأشرت إلى الشاليهات عند الشمال ، وقلت :

- « هل هذه محجوزة أيضاً؟ »

- « إنها باهظة الثمن .. فيها حمام وجهاز هاتف
لكل منها .. »

أجريت حسبة صغيرة بعد ما عرفت الثمن ..
يمكنتى افتطاع نفقاتى والاستغناء عن وجبة الغداء ،
والامتناع عن مغادرة الفندق .. لذا قلت بعزمة :

- « حسن .. لا مشكلة .. سأدفع من أجل
الخصوصية .. ولو لم يكن لديك اعتراض سأذهب
لاختار الشالية المناسب .. »

دخلت غرفة النوم وأمسكت بالهاتف ، وطلبت موظف الاستقبال :

- « أنا مسiter (تيموثي جrai) »
- « نعم يا سيدى .. من أين تتحدث ؟ »
- وضع السماعة وخرجت إلى خارج الشاليه .. كان الرقم على الباب هو (62) ..
- « أتحدث من الشاليه الذى اخترته وهو مناسب جداً .. إله الوحيد المفتوح هنا.. ورقمه هو (62) .. لم يرد فوراً وبدا متشككاً :
- « تقول رقم (62)؟ لا أعتقد أنه متاح يا سيدى .. وراح يتكلم باليونانية مع شخص بجواره .. فسألته : هل هناك مشكلة ؟ »
- « لا مشكلة يا مسiter (جrai) .. لكننا نشعر أنك ستكون مستريحاً أكثر فى رقم (57) .. وهو دان من الفندق .. »
- « هراء .. المشهد أفضل من هنا .. »
- « ليكن يا سيدى .. لو صعمت سارسل لك الحمال بالمفتاح .. »
- وعاد ~~وكان~~ باليونانية ثم وضع السماعة ..

ولم أعطه وقتاً للرد واستدرت مبتعداً .. من المفيد أن يكون المرء حازماً .. إن هى إلا دقيقة تردد ويرغبى على البقاء حيث أنا ..

ارتفعت معنوياتى عندما رأيت البحر .. الماء يغسل الصخور ، وشاطئ ممتد بلا مستحبين .. كل النواخذ مغلقة ما عدا واحدة .. كان هذا الشاليه مناسباً جداً فهو يربينى أجمل منظر للبحر والخليج ..

نظرت عبر النافذة المفتوحة إلى غرفة النوم .. كان بها فراش جواره منضدة عليها هاتف ومصباح ، الجدران بيضاء والأرض صخرية .. فيه كل بساطة محراب راهب ، لكنى لا أطلب أكثر ..

سمعت من الحمام صوت ماء متدقق .. آية خيبة أمل ! إذن فالشاليه محجوز بعد هذا .. نظرت عبر الباب المفتوح فوجدت بها الخادمة الإغريقية الشابة تنظف أرض الحمام ، وأصابعها الرueblo حين رأتى فأشترت لها .. وسألتها :

- « هل هو محجوز ؟ »
- أجبتني باليونانية ، وأمسكت بخرقة التنظيف ، خائفة اندفعت إلى الباب وتركنت دون أن تتم عملها ..

سأفرغ حقائبى وأسبح ، ثم أرسم لوحة مبدئية قبل أن أبدأ العمل الجاد صباح غد .. وجاء الحمال يحمل حقيبتي ولوحة الرسم .. رأيت الخادمة تقابل الحمال .. تتبادل حديثاً هامساً معه .. يبدو أننى حرقت الروتين الهدى هنا ..

- « منظر رائع .. يجب أن أسبح ! »
فاتها بصوت عال ، وحركت يدى بحركة السباحة ، وعلى وجهى الرغبة فى أن أرى ابتسامة اليونانيين المشرقة الحاضرة دوما ..

تفادى الحمال عينى واتخنى بجدية ، أما الفتاة فكانت متزوجة بحق ، ثم ابتعدا على الفور ، وهما ينظران إلى الوراء فى توجس ..

فتحت حقائبى .. ثم خرجت إلى الصخور تحت الشرفة ، وتحسست ياصبع قدمى الماء .. كان باردا بشكل غريب برغم الشمس التى تغمره ..

إلا أننى واصلت السباحة ولم أبتعد أكثر ، لأننى بطبعى سباح حذر .. خرجت إلى الشاليه وجفت نفسى ، وأنا أرمق القوارب تعود إلى المرفأ فى سكون من بعيد ..

ثم أخرجت أدوات الرسم واتهمكت فى العمل .. عملت لمدة ساعتين ، وسرعان ما صار لون البحر أدنى ، والسماء الفضية أرجوانية .. غداً يمكننى أن أرسم الشروق باللون بدلاً من الفحم .. أغلقت مصاريع النافذة ، واستعددت لأرتدى ثياب العشاء ..

لمحت قارباً بخارياً متوجه بنعومة إلى الجزء الشرقى يعنى ، وعليه ثلاثة مجانين صيد منهم امرأة .. وأدركت أن أحدهم يونانى ، سرعان ما ترجل ليعلن المرأة على الهبوط ..

ورأيت الثلاثة ينظرون فى اتجاهى .. لبضع دقائق راحوا يرمقوننى ، والرجل الجالس فى القارب وراء الدفة يسلط على منظاراً مقرباً .. يتفحص به كل تفصيلة فى شكلى ، الذى - يعلم الله - لم يكن ملفتا للنظر ..

شعرت بضيق فانسحبت للداخل .. لا بد أننى أثرت اهتمامهم بظهورى وسط هذه الشاليهات الداخلية .. لن يمر وقت طويل قبل أن ينسونى ..

وأستطيع أن أرى أداة السمع في أذنها .. لهذا لم تسمع الضوضاء ، وهكذا تحمل صوت زوجها الغليظ .. ولاحظت براعة عامل الفندق الذين نظفوا الأرض بسرعة ودقة ..

قال لى الساقى :

« القهوة في البار يا سيدى .. »

كنت أمقت الضوضاء والصوت العال ، لكنى أمقت كذلك أن أفوّت قهوة ما بعد الطعام ، لهذا نهضت .. كان البار خالياً ما عادا الساقى خلف المنضدة ، والأمريكى وزوجته ، وموسيقا راقية تعزف من مكان ما .. سألنى الساقى عما إذا كنت أمضيت يوماً طيباً فاجبـت أنـ نـعـم ..
لقد كانت رحلـسـ مـمـتـعـةـ ، ووـجـدـتـ شـالـيـهـاـ مـعـتـارـاـ
هو رقم (62) ..

غـرـيـبـ هـذـاـ !ـ كـانـ يـلمـعـ كـوبـاـ فـتـوقـفـ فـجاـةـ ..ـ بـداـ
كـائـناـ سـيـقـولـ شـيـئـاـ ثـمـ عـدـلـ عـنـهـ ..

« أغلقوا هذا التسجيل الكريه ! »

كان هذا هو صوت الأمريكى الغليظ ، فاتجه
البارمان إلى (الجراموفون) وخفض الصوت ..

وفي الثامنة قصدت الفندق .. دخلت قاعة الطعام فانتقيت منضدة في الركن تناسب حبى للوحدة ، واستمتعت بالعشاء وبدأت في تقطير برقة ، حين سمعت صوت ارتطام قوى في الناحية الأخرى من القاعة ..

كان صوت أمريكي قادم من الجنوب يصبح بصوت عال :

« بحق السماء نظفوا هذه الفوضى ! »
كان رجلاً عريضاً المنكبين في منتصف العمر ، له وجه لوحته الشمس كائناً مليون نحلة لدغته ، وكان أصلع الرأس وجلد رأسه وردئاً مشدوداً كقطعة سجق توشك على الانفجار .. وله شارب سميك لم يخف شفته السفلى العميقـةـ الرـطـبةـ .. قـلـماـ رـأـيـتـ شخصـاـ منـفـرـداـ كـهـذـاـ ..

وجواره كانت امرأة - اعتقاد زوجته - في منتصف العمر ، لها وجه ملوح كزوجها ، وكانت تجلس بلا حراك ..

كان الناس قد فرغوا من إرواء فضولهم ، لكنى ظللت أرمي الزوجين وهما ينهضان قاصدين البار ،

سبح فيها بعد العشاء .. لكننا لا نتكلم عن هذا هنا ..
أنت تفهم .. سيكون هذا ضاراً بالـ (بيزنس) ..
وأؤكد لك أن الماء آمن ، وهذا أول حادث من نوعه ..

- « آه .. دعك من هذا .. »

لكنى تضائق من فكرة أن الشاب المسكين كان آخر من استعمل الشاليه الذى أقيم به .. لكن الأمر لا يتساوى طبعاً مع أن يكون مات فى الفراش ، ولم يكن مؤمناً بالخرافات ، لكنى فهمت سر ذعر الخادمة الشابة ..

هذا صاح الصوت الغليظ :

- « دعنى أقل لك شيئاً : ليس بعد منتصف الليل !
لا تسبح بعد منتصف الليل حتى لا يظفر بك
الأخطبوط .. »
وانفجرت ضحكاته ثانية ، قبل أن يصطحب المرأة
وينصرف ..

حين خلت الغرفة تفست بارتياح ، وقت للساقى :

- « يا له من رجل مستحيل ! ألا تستطيع الإدارة
الخلاص منه ؟ »

- « أحضروا لهم زجاجة أخرى ! »

لو كنت مكان الساقى لكلمت الرجل كما يكلم أب ابنه ، وطلبت منه أن يقول : من فضلك .. لكن الساقى فعل كما أمر الوحش ..

هذا دوى صوت الأمريكى من جديد :

- « هِه ! أَنْتَ يَا شَالِيه (62) ! أَنْتَ لَا تُؤْمِن بالخِلَافَات ! »

استدرت نحوه ، وتنكرت الكياسة التي يجب على
المرء أن يعامل بها المجانين والسكارى .. وبلطف
قلت :

- « لا .. لا أؤمن بها .. هل بح ذلك ؟ »

احمر وجهه أكثر ، وضحك :

- « حسن .. سحقا ! لو كنت مكانك لفعلت .. لقد
غرق أحد نزلاء ذاك الشاليه منذ أسبوعين ، وانتشل
الموظفون جسده بعد يومين ، وقد التهمه الأخطبوط ! »
وراح يهتز ضحكا ويضرب على ركبتيه .. استدرت
للساقي ، متسللا فقال :

- «نعم هو حادث تعس .. كان مسiter (جوردون)
رجلًا طيباً يُعشق الآثار .. وقد اختفى في ليلة حالمه

هزّ كتفيه وقال :

- « (البيزنس) هو (البيزنس) .. فماذا يفعلون ؟
الأمريكان لديهم مال كثير .. وقد وصل آل (ستول)
هنا لثاني موسم .. إنهم مجاتين يحبون الصيد ،
ومستر (ستول) يخرج للبحر يومياً يصطاد من
الصباح حتى الغروب .. لكنه لا يجلب السمك للفندق
أبداً بل يعطيه للنوتى .. »

- « كم أشعر بالشفقة على زوجته .. »
- « حقاً .. لكنها هي من يملك المال .. إنها
لا تفارقه أبداً وتذهب إلى الصيد معه .. إنها ترافقه
جيداً برغم صممها .. »
غادرت البار عائداً إلى الشاليه ..

كان الهواء منعشًا ، له رائحة البنور المزروعة في
أرض حمراء .. وكانت النجوم تلتلمع في السماء ..
وفي الشاليه وقفت أرمق الجبال النائية والبحر وقلت
لنفسِي : كم هي بقعة جميلة ..

دخلت الفراش وأضأت المصباح بجواره .. كانت
الغرفة ودوداً دافلة .. قبل أن أمدد جسدي تذكرت
الكتاب الذي تركته بالشرفة .. كنت بحاجة إلى قراءته ..

فتحت مصراع النافذة وخرجت لأنقطعه ، وقبل أن
أدخل نظرت إلى البحر حتى ..

أكثر الأضواء كانت منطفئة فيما عدا ضوءاً في
شرفة شاليه بعيد .. وفي الضوء رأيت شيئاً يتحرك
في البحر نحوى .. كان أنبوب تهوية كمنظر
الغواصة ييرز من تحت سطح الماء ، لشخص يتحرك
هناك .. ثم اختفى إلى اليسار ..

أغلقت المصراع ودخلت ..

لا أعرف السبب .. لكن منظر هذا الشيء أثار فلقي ،
ونكرني بالغريق الذي هلك بعد منتصف الليل .. لابد
أنه غرق في ليلة دافلة كهذه إذ حاول أن يسبح تحت
الماء ليلاً ..

قرأت بعض صفحات ، ثم أطفأت النور ..
هنا سقط الهاتف على الأرض ، فانحنى والتقطته ..
ولاحظت أن الدرج كان مفتوحاً ، وبه بطاقة عليها
اسم (تشارلز جوردون) ..

أعرف أن (جوردون) هو اسم من سبقنى .. ثمة
كلمات مكتوبة على جانب البطاقة الآخر تقول : ليس
بعد منتصف الليل ..

كان الشاطئ في الناحية الشرقية مكتظاً بالأجساد
 فوق كل بقعة رمل ، فحمدت الله على عزته ،
 وابتعدت عن الزحام لأجد نفسي وحيداً ثانية ..
 لم يكن القارب هناك ، ووُجِدَت رغبة عارمة في أن
 أختلس نظرة إلى شاليه المستر (ستول) ..
 تسللت إلى هناك ، واحتلست نظرة عبر خصوص
 النافذة .. لم أجده ما يلفت النظر سوى مجموعة
 زجاجات ، وزوجاً من أحذية الغوص التي تشبه أقدام
 الضفادع ..
 بالطبع ما كان مستر (ستول) ليستطيع بحالته
 الصحية هذه أن يغطس .. ولا بد أنه لرسل تابعه
 اليوناني ليغوص بحثاً عن (أبو جلumbo) وتذكرت
 أنبوب التهوية الخارج من الماء ..
 سمعت شخصاً قادماً فابتعدت ، لأنني لم أود أن
 يجدني أحد وأنا أتلتصص .. فقط نظرت لرقم الشاليه
 فوجنته (38) ..
 لم يكن للرقم ساعتها معنى بالنسبة لي .. لكنني
 حين عدت للشاليه بحثت عن دبوس لرباط العنق ،
 فوجدت البطاقة .. إن الرقم عليها هو (38) ..

ثم بعد هذا رقم (38) ..
 دسست الورقة في الدرج .. وبرغم أنني كنت
 مرهقاً فلم أستطع النوم قبل الثانية صباحاً ، ولو قت
 طويلاً ظللت أصفي للماء يصطدم بالصخور تحت
 شرفتي .. ★ ★ ★

ظللت أرسم ثلاثة أيام ، فلم أفارق الشاليه
 إلا لأشبع أو لأتناول طعام الإفطار أو العشاء ، ولم
 يضايقني أحد .. وكنت أستيقن من الإفطار ما يكفي
 للغداء .. وكانت الخادمة تأتي لتنسق فراشي صباحاً ..
 كدت أنتهي من رسم المشهد الانطباعي ، وبدالي
 مرضياً جداً ، لذا قررت أن استريح وأن استكشف
 الساحل قليلاً ..

كنت أعرف الآن أن قارب المستر (ستول)
 المزعج هو الذي أراه جوار الشاليه المرضى إياه ..
 كان يخرج مع زوجته للصيد في الصباح المبكر فلا
 أraham يرحلون ، لكنني كنت أراهم عند العودة ، وأسمع
 سبابه للرجل الذي يرافعهما في الرحلة ..
 فليفعل ما يريد ما دام بعيداً عني ..

- « لا أحد قدر ما أعلم يا سيدى .. ليس بعد الحادث .. كان المسكين مستر (جوردون) يهوى الغطس تحت الماء ليلاً ، وكان من القلائل الذين يمكن أن يتحدثوا مع مستر (ستول) .. وقد كانت لهما مجادلة طويلة ذات ليلة في هذا البار .. »

« حَفَا ؟ » -

- «ليست مجادلة عن السباحة ، بل كانوا يتكلمون عن الآثار .. إن هناك متحفاً جيداً في فريتا ، لكنه مغلق حالياً للإصلاحات .. كان مستر (جوردون) ذات علاقه بالمتاحف البريطانية .. »

- «ما كنت لأحسب هذا يثير اهتمام صديقنا
«ستول» ..

قال الساقى :

- «ستدھش لهذا .. إن مسٹر (ستول) ليس
أحمق ، وفي العام الماضى كان هو وزوجته يزوران
كل الأماكن المهمة فى (کنوسوس) و (ماليا) ،
وأماكن أخرى غير شهيرة .. لكن الأمر اختلف هذا
العام .. صيد السمك كل يوم .. »

- « ومستر (جوردون) ؟ أكان يصيد السمك
بدوره ؟ »

صادفة طبعاً .. ولكن (ليس بعد منتصف الليل) ..
هذا هو الإنذار الذي وجهه لي (ستول) .. أتراء إنذر
(جوردون) أيضاً؟ ولماذا يكتب الأخير النصيحة
ورقم شاليه قائلها على بطاقته؟ لكن (جوردون)
البائس تجاهل النصيحة طبعاً ..

وضعت البطاقة في حافظتي .. لربما كان من
واجبى إعطاؤها لموظف الاستقبال عليها تلقى بعض
الضوء على ما أصابه ، لكننى تجاهلت الفكرة ..
المشكلة أن هذا يورطنى فى قضية تم إغلاقها منذ

كنت لُوي - إذ جلست في غرفة الطعام - آل (ستول)
آل يعنى ، وذلك دون أن أثير رأسي ..

كان محظتنا كقطعة سجق يلتهم العشاء ، بينما الزوجة صامتة شاردة ، تداعب الطعام بشوكتها .. دنوت من الساقى فتبادلنا المجاملات التقليدية ، ثم سألته :

- «من من نزلاء الفندق يهوى الغوص فى الأعماق؟»

بـدا العـاـقـى مـنـدـهـشـاـ :

- « لا يا سيدى .. ليس على قدر علمى .. لقد استكشف الجزيرة والمنطقة كلها بسيارة استأجرها مثلك .. لقد قال إيه يكتب كتاباً عن الآثار الموجودة شرقى (كريت) ، وعلاقتها بالـ (ميثولوجيا) اليونانية .. »

- « ميثولوجيا؟ »

- « نعم .. قال هذا وإن كان فهم هذا أقوى منى .. دارت المناقشة ، لكنى لم أسمع الكثير منها ، فقد كان البار مزدحماً .. وكان مستر (جوردون) مهذباً جداً على طريقتك إذا سمحت لي ، وبيدو مهتماً بالموضوع ، وما كان الإغريق يفعلونه في عبادتهم .. »
هنا تذكرت البطاقة في جيبى .. هل أعطيها لموظف الاستقبال؟

ودعت الساقى وغادرت القاعة ..

كان آل (ستول) يمشون أمامى ، فتكلأت قليلاً حتى يتبعدا .. وفدت أمام حامل عليه بطاقات كى أجدى عنراً لتأخرى ، ورأيت مسر (ستول) تتناول معطفها من على شماعة في المدخل ، ثم إن الإثنين خرجا من الباب

متوجهين لموقف السيارات .. كيف يقود (ستول)
سيارته بحالته هذه؟
حافظ ما كالذى يدفع صبياً للعب دور المخبر ،
جعلنى أتجه إلى سيارته ، وحين ابتعدت سيارة
(ستول) - (مرسيدس) - تابعته فى رحلته ..
كان هناك طريق واحد يتجه شرقاً نحو القرية ..
لم أتحقق به برغمى ، وفي النهاية وصلت لمرفاً صغير ..
وأخبرتني غريزتى أن توقف أمام مقهى محلى هناك ..
كان هناك سواح كثيرون حولى ، وبعض السكان
المحليين .. فقلت لنفسى : ليكن .. سأجلس هنا وأشرب
بعض الليموناد ، ولستمتع بمرأبة المنظر والزحام ..
ولابد أننى جلست هناك حوالي نصف ساعة ،
أرمق الأسر اليونانية التى تستنشق الهواء النقى ،
والحسان اللائى ينظرون من طرف إلى الشباب ، وقسماً
لرثوذكسيًا يجلس إلى منضدة مع بعض الشيوخ ،
ومجموعة من شباب الهيبز من بلدى أطول شعرًا من
أى شخص آخر وأكثر قذارة ، لا يكفون عن إحداث
الضوضاء ، وحين أداروا المذيع وجلسوا على
الأرض ؛ عرفت أن وقت الانصراف قد حان ..

لم أبال بما يحدث لـ (ستول) .. إن ليلة في السجن ربما تتناسبه ، لكن هذا شنب لزوجته .. الأمر لا يهمني على كل حال ..

هنا وقف الرجل متربعا ، ولوح بالزجاجة نصف العلينة فوق رأسه ، وبدقّة شديدة قذف بها من فوق رأسى ، نحو البحر .. لا بد أنه تفادى بقدمين فقط .. كان هذا أكثر من اللازم ، لذا نهضت نحوه والغضب يعمي .. وصحت فيه :

« أية لعبة تلعبها بحق السماء ؟ »
وقف أمامي وتارجح على قدميه .. كف الضحك إذ راقب الجالسون المشهد في اهتمام ، وتوقعت طوفانا من السباب .. لكنه جد وجهه المحتفن إلى ضحكة ، وقال :

« هل تعرف شيئاً ؟ لو لم تقف في طريقى لوصلت هذه الزجاجة إلى منتصف البحيرة .. أنا لست (كريتياً) .. وهم أيضاً ليسوا (كريتيين) بل مجرد أتراك .. ولا يوجد (كريت) نقى الدم فى (كريت) كلها .. »

دفعت ثمن التيمونادة وخرجت إلى سيارتي .. هنا وقعت عيناي على بقعة ماء داخل البر ، حيث بدا أن طريقاً جاتياً ينتهي نهاية مسدودة .. لا بد أن هذا ما يسميه دليل السباحة بـ (البركة التي لا قاع لها) والتي يلتقط لها السياح صوراً كثيرة في الموسم .. كانت بحيرة كبيرة ، تطفو القاذورات من فوق مائها .. ولم أستطع أن أجد من يمارسون الغطس فيها نهاراً ..

عندئذ رأيت (المرسيدس) .. كانت واقفة أمام المقهى ضعيف الإضاءة ، ولم يكن من شك في الشكل المنحني على المنضدة والزجاجات أمامه ، والمرأة الجائحة بجواره .. لكن لدهشتى - بل لاشعرازى - لم يكن يشرب وحده ، بل مع مجموعة من الصيادين خشنى الصوت على المنضدة المجاورة ..
ملا الضحك الجو .. كانوا يسخرون منه كما هو واضح .. لقد ذابت الرقة اليونانية فى أ��وا بهم ، وببعضهم راح يغنى بصوت عال ..
مد يده وطوح بالزجاجات الفارغة إلى الرصيف ، فهملوا وصعقوا مع صوت الزجاج المهشم .. وتوقفت أن يصل البوليس فى أية لحظة ، ليوقف الحفل ..

- « هذا حق .. إن البايس ميت .. غرق تحت الصخور أو وجدوه هناك .. »
وكانت عيناه فعلياً مغلقتين في وجهه المتنفس ،
لكنى عرفت أنه يراقبنى ..

قلت :

- « أفهم أنه لم يكن فناناً .. »
كرر الكلمة بعدي ، ثم انفجر في الضحك :
- « فناناً ؟ لا لم يكن .. كان خبير فنون ، لكن هذا
لم يفده كثيراً .. ألا ترى ذلك ؟ »
كان يبذل مجهوداً للتماسك ، ثم مذيده في جيشه
بحثاً عن علبة تبغه ، وأشعل واحدة لنفسه ، ثم
عرض على واحدة قلت :
- « لا أدخن » - ثم بتحمِّل أضفت - « ولا أشرب
ذلك »

أجاب في دهشة :

- « ولا أنا .. إن الشراب الذي يقدمونه هنا هو
نوع من البول .. »
وتجذبني وقد بدا عليه التامر إلى جانب ، وقال وهو
يشير إلى الجالسين :

حاولت أن أنزع ذراعي من قبضته ، لكنه تمسك
بها كصديق وجد - أو ظن أنه وجد - صديقه القديم ،
وهي عادة السكارى ..
وصدر منه فوق ، وقال :

- « أنت من الفندق .. أليس كذلك ؟ لا تذكر يا فتى
فانا لا أنسى الوجوه .. أنت الشخص الذي يرسم في
الشارع الكريه طيلة اليوم .. حسن .. أنا أحترمك
لهذا ، فانا أعرف عن الفن قليلاً .. ولربما ابتعت
لوحتك هذه .. »
كان تونده كريها ، ورقة لا تحتمل .. فقلت في
جفاء :

- « آسف .. هي ليست للبيع .. »
صاحب معتراضاً :

- « أوه هلم ! أنتم عشر الفنانين تتشابهون ..
تتدلون حتى يقدم لكم أحد ثمناً باهظاً .. خذ
(شارلى جوردون) على سبيل المثال .. أنت
لا تعرفه .. أليس كذلك ؟ »
- « نعم .. كان قبل مجئي .. »

الطريق ، ولحسن الحظ كان الموجودون بالمقهى قد تفرقوا ؛ إذ ينسوا من أن يضرب أحدنا الآخر .. وكانت مسر (ستول) في السيارة المرسيديس الآن جالسة في المقعد الأمامي ..

قال لي :

- « لا تهتم بها .. إنها صماء كالحجر .. ولدينا مكان في المقعد الخلفي .. »

قلت :

- « آسف .. لكن سيارتي هاهنا .. »

- « كما تريده .. ولكن قل لي يا سيد (فنان) ما عملك ؟ هل أنت أكاديمي ؟ »

كان يوسعى تركه الآن ، لكن بعض الفخر الأحمق جعلنى أخبره بالحقيقة ، أملاً أن يدعنى وشائى ..
قلت :

- « أنا معلم في مدرسة ابتدائية للأولاد .. »

- « افتح فمه الرطب ضاحكاً ، وصاح :

- « ربأه ! هذا جميل .. مدرس .. مربية للرَّضع والأطفال .. أنت واحد منا يا فتى .. وبرغم هذا تملك الشجاعة لتقول إبك لم تجرِ (اللبلاب) والـ (سبروس) فقط ؟ »

- « هؤلاء أتراك .. ومنذ زمن طويل ، حوالي خمسة آلاف عام ، لم يصنعوا الصنف المناسب .. كانوا يعرفون طريقة صنعه آنذاك .. »
تساءلت :
- « أحصا ؟ »

اتسعت عيناه الضيقان ، ولاحظت أنهما جاحظتان بارزان وبخشونة همس :

- « أتعلم ؟ إن الباحثين فهموا كل شيء خطأ .. لقد كان (الكريتيون) يشربون مزيجاً مختمراً من نباتي (السبروس) و (اللبلاب الكبير) .. وثبت نرعاً على الجدار مستنداً ، واتحني إلى الأمام وتقيأ في البركة ، حتى شعرت بالغثيان ثانية ..
قال :

- « هذا أفضل .. يخلصنى من اتس .. أقول لك : سنعود إلى الفندق ، ونمضى الليلة في الشاليه الخاص بي .. إننى ملت إليك يا سيد (ما اسمك) .. إن أفكارك جيدة .. أنت ترسم صوراً ولا تدخن .. فما عملك ؟ »

كان مستحيلاً التخلص منه .. ووجده يشدئى إلى

وأنطلقت السيارة تنهب الكيلومترات الباقية على
الفندق ..

* * *

ليس صحيحاً أن المقابلة أفسدت إجازتي ، وجعلتني
راغباً في الرحيل .. إنها نصف الحقيقة ؛ لأنني كنت
غاضباً مشمنزاً لكن من آل (ستول) فقط ..
نهضت منتعشاً إلى يوم مشرق ، بعد نوم مريح ..
وقد أزمعت أن أحشى (ستول) وامرأته متوسطة
الذكاء .. لقد خرجا في القارب مبكراً ، وقد اعتدت أن
أتناول عشاء مبكراً كي لا ألقاهما في قاعة الطعام ..
كما أنهما لم يكونا من هواة التجوال ، لهذا كان
عسيراً أن أقابلهما في الفندق ..
وحين كانوا يعودان ليلاً وأنا في الشرفة ، كنت أرى
المناظر المقرب في يده يتجه نحو شرفتي .. عندها
كنت أتوارى ..
هكذا بشيء من الحظ يمكن أن ينسى وجودي ،
وإن كنت لا آمل في هذا ..
لقد جنت لأرسم وأسترخي ، وقد صممت على فعل
هذا ..

كان مجنوناً بالطبع ، لكن هذا المرح جعله يحرر
نراعي ، وتقدمى إلى سيارته ، وهو يهز رأسه من
جانب ل جانب ، وقدماه تحملان جسده الثقيل بطريقة
رافضة غريبة .. واحد اثنين .. كحصان آخر ..
رافقه يركب السيارة إلى جوار زوجته ، ثم ابتعدت
لأكون في الأمان ، لكنه انطلق بها بسرعة رهيبة ،
واصطدم بي قبل أن أصل لركن الشارع ، وأخرج
رأسه من النافذة صالحًا :

- « تعال زرنا يا مستر (مدرس) .. فلسوف تجد
الترحيب دوماً .. قولي له يا (مود) لا ترين أن
الفتي خجول ؟ »

وتراجعت صيتها في المكان ، حتى توقف المارة
ليرروا ما هناك .. ورأيت الوجه الصلب الجامد للزوجة
يرمقني .. كأنها لا ترى شيئاً ، وكان ركوب سيارة
مندفعه ليلاً في قرية غريبة جوار زوج مجنون ، هو
أكثر الأشياء طبيعية في العالم ..

- « مساء الخير .. زرنا يا مستر (تيور) في
شاليه (38) ، ولكن ليس بعد منتصف الليل .. »
قالتها بصوت بلا تعبير ، فلوح (ستول) بذراعه ،

كان استكشافى للساحل الغربى أكثر نجاحاً مما ظننت .. لقد ابتعدت عن الفندق نازلاً من المرتفعات إلى مستوى البحر ، والأرض تنحدر نحو مستنقع جاف خبزته الشمس .. لكنى حين دنوت أكثر وجدت أنه ليس مستقعاً بل مسطحات من الملح ، تحيط بها جدران شكلتها السدود ، لتسمع لماء البحر بالجريان تاركاً الملح وراءه .. ومن بعيد طواحين هواية مهدمة ، ثم انتهت مسطحات الملح وارتقت الأرض لتقود المضيق (سبيناالونجا) ..

مشيت بـ (الفولكس فاجن) حتى وصلت إلى المسطحات ، وكان المكان مهجوراً تماماً .. فقررت أنه سيكون مكانى المفضل فى الأيام القادمة ..

وضعت أدوات الرسم وقمعتى على رأسى ، واندمجت في المشهد أمامى ، وقضيت أهم ثلاثة أيام في رحلتى .. كان السلام شاملًا والوحدة مطلقة ، ولم أر مخلوقاً واحداً .. كنت ألتهم الشطائر والليموناده وأرسم ، ثم حين تزداد الحرارة ؛ أوى إلى ظل طاحونة ، وفي المساء أعود للفندق لأنتناول عشاءى ، وأقرأ ثم أنام .. ما كان لناسك أن يتمنى عزلة أكثر من هذه ..

حين دخلت الشرفة لأنتناول الإفطار ، كان القارب عند الشاليه الخاص بآل (ستول) قد رحل .. وقررت أن أستكشف الساحل حاملاً نوحة الرسم .. حتى إذا ما امتصستى هوايلى نسيت كل شيء عن هذا الرجل ..

يمكننى الآن تخيل ما حدث (جوردون) المسكون .. لقد أتجذب البانس إلى (ستول) في البار ، وكل الهراء الذى يقوله عن (كريت) وـ (ميثولوجيا) اليونانية ، ولم يتصور (جوردون) إلام سيقوده هذا .. تلقى دعوة إلى الشاليه رقم (38) فقبلها ، ولا بد أنه سبح عبر الخليج ليصل هناك .. لا بد أنه كان يستعرض بطولته .. وفي الشاليه شرب ذلك الخليط الشيطانى المختمر الذى صنعه المضيق ، مما جعله يفقد كل وعي وحكمة ..

وحين قرر أن يعود سباحة ، كان لا بد لما حدث أن يحدث .. فقط تمنيت أن يكون قد غرق فوراً دون ألم ..

إن الكتابة على البطاقة تتفق مع القصة .. تعال رقم (38) ليس بعد منتصف الليل .. لكن الوقت قد حان كى أنسى هذا وأركز على ما أمامى ..

في ذلك اليوم فررت أن أستكشف شبه الجزيرة ، أملاً في العثور على مشهد جديد أفضل .. تسلقت التل وأنا أحرك قبعتي ؛ لأن الطقس كان حاراً للغاية ، وثار دهشتني أن أجد أن شبه الجزيرة مجرد لسان وسط البحر .. ربما استطاع رسام عبقري ، أن يرسم هذا المشهد على القماش .. (التركمان) يذوب في بحر (إيجي) الأزرق ، بينما ظلال نبيذية تحتها .. هذا بوسع رسام عبقري ، لكن ليس هاوياً مثلي ..

نزلت لأسفل نحو مجموعة نباتات ظليلة ، حيث أستطيع الاستراحة قليلاً ، وهنا رأيت القارب .. كان راسياً قرب مدخل الخليج .. لقد كان قارب آل (ستول) .. واليوناني الذي يعمل معهما يجلس إلى المجدافين ، وقد مد خيطاً يصطاد به إلى الجانب .. كان الوحيد في القارب ، ورأيت على رمال الشاطئ بناء من الحجر مهدمة .. ربما كانت يوماً ما حظيرة للخراف .. لابد أن آل (ستول) أوقفوا قاربهم هنا ، ودخلوا تلك البناء ربما كان (ستول) يصنع مخلوطه المتاخر من اللبلاب والـ (سبروس) هنا ، ولربما أضاف إليه بعض فضلات الماعز على سبيل تجديد المذاق ..

فجأة نهض النوتى واتجه للافة وراح يرمي الماء .. رأيت شيئاً يتحرك ثم يخرج من تحت الماء .. نظارة غوص .. ثياب غوص مطاطية .. زعناف .. ورأيت اليونانى يساعد الغواص على انتزاع قناعه .. ثم استرعى نظرى شيء يقف عند فتحة المبنى المهجور ..
أقول : شيء بسبب اللاعب الضوء الذى جعله يبدو مشمراً ، كأنه مهر يقف على قدميه الخلفيتين .. كله مغطى بالشعر ، ثم أدركت أنه (ستول) نفسه .. وصدره وذراعاه مغطاة بالشعر .. فقط وجهه جعلنى أدرك أنه مازال إنساناً ..

مشى إلى حيث القارب يتأود فى مشيته بتلك الطريقة العجيبة التى رأيتها فى المقهى أمن .. يداه فى خصره وصدره للأمام ، ومؤخرته بارزة للوراء .. ورأيت الغواص يتوجه للشاطئ الآن ، وقد تخلص من نظارته وأسطوانة الأكسجين ، والقى بزعانفه على الرمال كسمك عملاق .. وبرغم القناع المطاطى أدركت فى دهشة أنه ممز (ستول) ..

تقدمت نحو زوجها ، وناولته حقيبة جلدية صغيرة ،
فأخذها وعاد إلى المبنى المهجور ..
جلست أنتظر .. سأعطيهما عشرين دقيقة ثم أعود ..
لكنهما لم يتركا كل هذا الوقت .. سمعت صيحة ،
ثم رأيت الزوجين يصعدان إلى القارب حاملين سلاحاً
وأدوات الغطس ، وبدأ آليونات تشغيل المحرك ..
وسرعان ما اتجه القارب إلى البحر بعيداً عن الخليج ..
كان فضولي قاهراً ، فانزلقت فوق الرمال نحو
المبنى المهدّم ..

كان كما توقعت حظيرة للماعز ، فالأرض ملأى
بنطلاتها .. زجاجات في كل مكان ورفوف خشبية تم
ثبتتها .. وعلى كل رفٍ كانت قطع من الخزف ،
كائناً أخرجها أحدهم من كومة قمامـة .. لكنها كانت
نظيفة لا يكسوها غبار ..

واضح أن هذه كنوز تم استكشافها تحت الماء ..
لابد أن هذه القطع الخزفية عديمة النفع ، لذا لم تبال
المرأة ولا زوجها بالخلص منها ..
لست خبيراً بهذه الأشياء ، لهذا لم أو ما يثير
اهتمامـي ، وتركت المكان ..

كانت هذه حركة معيـة .. لأننى إذ تسلقت المنحدر



وعلى كل رفٍ كانت قطع من الخزف ، كائناً أخرجها أحدهم
من كومة قمامـة ..

سمعت صوت محرك ، وعاد القارب نحو المكان ..
 كانت الثلاثة رءوس تنظر لى ، والشخص وراء
 الدفة يرمي بمنظر مقارب .. لن يجد عسراً في
 معرفة المتسلل .. واصلت التسلق برغم هذا ، وبعضاً
 فوق حاجبي ، أملاً أن أداري نفسي .. ربما حسبوني
 أى سائح تواجد هنا بالصدفة ..
 منها متقطع الأنفاس هرعت إلى سيارتي وأدرتها ،
 وتعنيت لو لم أستكشف هذا الموضع فقط .. سيسعون
 أثني كنت أتجسس عليهم وهذا حقيقي .. لقد فسد
 مزاجي فلن أستطيع الرسم اليوم ..
 وكان حظى عائراً لأن إحدى عجلات السيارة فقدت
 هواءها ، فرحت ثابت (الاستبن) واحتاج هذا إلى
 أربعين دقيقة ، لأنني سيء في كل عمل يدوى ..
 ووصلت للفندق بعد وصول آل (ستول) طبعاً ..
 وحين خرجت إلى الشرفة وجدت (ستول) في شرفته
 يسلط نظارته المقربة إلى الشاليه الخاص بي ..
 أغفلت خصوص الشيش ، ودخلت لأخذ حماماً حين
 دق جرس الهاتف ..

يداي مبتلتان والمنشفة حول وسطي .. ما كان
 الهاتف ليدق في وقت أسوأ .. جاء الصوت من الهاتف :

- « أهذا أنت يا سيد (مدرس) ؟ »
 كان صوتاً لا يمكن أن أخطئ فيه .. وبخشونة
 أجبت :
- « أنا (تيموتى جrai) .. »
- « (جrai) أو (بلاك)^(*) .. كل شيء يتساوى ..
 أنت كنت في (سبينالونج) عصر اليوم .. هل هذا
 صحيح ؟ »
- « لا أدرى من اهتمامك .. »
- « أصمت .. لن تخذلني .. أنت كالأخر .. مجرد
 جاسوس .. ودعنى أقل لك : لقد تم تنظيف حطام
 السفينة منذ قرون .. »
- « أى حطام ؟ »
- « حسن حسن يا (مدرس) .. لن نختلف حول
 هذه النقطة .. إننا من نفس النوع على كل حال .. إن
 المدرسين وأساتذة الجامعة والمحاضرين كلهم
 يتشابهون تحت جلدهم وفوقه أحياناً ! لا تخف .. لقد

(*) يقصد السخرية منه (جrai) معناها : (رمادي) ..
 و (بلاك) معناها : (أسود) .

فَلَتْ إِنْتِي أَمْيلُ لَكَ .. هَلْ تَرِيدُ شَيْئاً لِمَتْحَفِ مَدْرَسَتِكَ ؟
شَيْئاً تَرِيهِ لِزَمَلَاتِكَ وَالْطَّالِبَاتِ الْحَسَنَاتِ ؟ حَسَنٌ ..
إِنْ هَذَا الشَّيْءَ لَدَيْ .. يُمْكِنُكَ الْمُجْرَى الْلَّيْلَةِ وَسَاقِمَ
لَكَ هَدِيَّةً .. سَيَكُونُ عَنْدَنَا حَفْلٌ بِهِيجٍ ، فَزُوْجَتِي تَعْمِلُ
لَكَ أَيْضًا .. »

أَتَلَقَتْ مَنْشَقَتِي إِلَى الْأَرْضَ ، وَشَعَرْتُ لِسَبِّ ما
أَنْتِي هَشَّ جَدًّا .. كَانَ صَوْتَهُ يَخْيَفُني ، وَقَلَّتْ لَهُ :
- « مَسْتَرُ (سَتُولُ) .. أَنَا لَا أَجْمَعُ أَشْيَاءَ
لِمَتَاحَفِ .. أَنَا هَنَا فِي إِجازَةِ لِمَتَاعِنِ الْخَاصَّةِ ..
وَبِحَقِّ لَا أَمْلَكُ أَيْةً نِيَّةً لِزِيَارَتِكَ .. »
وَوَضَعَتِ السَّمَاعَةَ وَعَدَتْ إِلَى الْحَمَامِ .. يَالَّهِ مِنْ
رَجُلٍ كَرِيمٍ !

هَلْ يَتَرَكَنِي وَحْدَى أَمْ يَظْلِمُ يَرَاقِبَ شَرْفَتِي ، حَتَّى إِذَا
ذَهَبْتُ إِلَى قَاعَةِ الطَّعَامِ تَبَعَنِي إِلَى هَنَاكَ ؟ يَرِيدُ أَنْ
يَبْتَاعَ صَمْتِي لِقاءَ هَدِيَّةً .. إِنْ رَحْلَاتِهِ لِلصَّيْدِ لِيَسْتَ
سُوَى غَطَاءِ يَدَارِي بِهِ اِكْتِشافَاتِهِ تَحْتَ الْمَاءِ ، وَلَا بَدَّ
أَنَّهُ وَجَدَ أَشْيَاءَ مُهَمَّةً يَزْمِعُ تَهْرِيبَهَا خَارِجَ (كَرِيتَ) ..
لَابِدَ أَنَّهُ فَعَلَهَا فِي الْعَامِ السَّابِقِ .. لَكِنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَتَمَّ
كَمَا هُوَ مُفْتَرَضٌ هَذَا الْعَامِ .. إِنَّ (تِشَارِلِيزَ جُورْدُونَ)

الَّذِي سَبَقْتِي فِي هَذَا الشَّالِيَّهِ ، قَدْ ارْتَابَ فِي الْأَمْرِ ..
(أَنْتَ مُثْلُ الْآخِرِ) .. لَقَدْ قَالَهَا (سَتُولُ) ..
لَابِدَ أَنَّ (جُورْدُونَ) تَلَقَّى دُعَوةً إِلَى الشَّالِيَّهِ
رَقْمِ (38) ، وَهُنَاكَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ رِشْوَةً .. تَرَى هَلْ
رَفَضَ ؟ هَلْ هَذِهِ يَافْشَاءُ السَّرِّ ؟ هَلْ غَرَقَ فِي حادِثٍ
حَقَّاً ، أَمْ أَنَّ الْزَّوْجَةَ تَابَعَتْهُ تَحْتَ الْمَاءِ وَجَذَبَتْهُ
لِلأسْفِ ؟

كَنْتُ أَعْرِفُ شَيْئاً وَاحِدًا .. لَا قَوْةَ فِي الْعَالَمِ تَرْغَبُنِي
عَلَى الذهابِ إِلَى الشَّالِيَّهِ (سَتُولُ) ، وَلَوْ حَاوَلَ تَهْدِيَّ
سَلْحَكِي كُلَّ شَيْءٍ إِلَادَرَةَ الْفَنْدَقِ ..
أَرْتَدَيْتُ ثِيَابِيَّ لِلْعَشَاءِ ، وَوَقَّتْتُ أَرْمَقَ الشَّالِيَّهِ
الْخَاصَّ بِ(سَتُولُ) .. كَانَ الضَّوءُ مَرْئِيًّا ، لَكِنَّهُ
لَمْ يَكُنْ هَنَاكَ ..

أَتَجَهْتُ لِحَدِيقَةِ الْفَنْدَقِ ، وَفِجَاهَ رَأَيْتَ (سَتُولُ)
وَزَوْجَتِهِ يَجْلِسَانَ كَائِنَما يَحْرَسَانَ الْطَّرِيقَ إِلَى حَجَرَةِ
الْطَّعَامِ ..

كَانَ عَلَى أَنْ أَمْرَ بِهِمَا كَىْ أَكْلَ .. لِيْكَنْ ! يُمْكِنُكَما
الْبَقَاءُ هَنَا طَبِيلَةَ اللَّيْلِ .. عَدْتُ إِلَى الشَّرْفَةِ ، وَدَرَتْ
حَوْلَ الْفَنْدَقِ وَمَرَرْتُ بِالْمَطَابِخِ ، حَتَّى خَرَجْتُ إِلَى مَوْقِفِ

السيارات .. سأتناول عشاءً بالخارج ولنذهب التفقات
إلى الجحيم ..
اتجهت بسيارتي إلى حافة بعيدة .. كنت جائفاً ،
لكن كان على أن أكتفي - بدلاً من وجبة الفندق
الدسمة - بقرص عجة وبرتقالة وقدح قهوة ..
وبعد العشاء عدت إلى الفندق ، وشقت نفس
الطريق إلى الشاليه ، الذي دخلته متسللاً كلص ..
كان الضوء ما زال في شرفة (ستول) وواضح أنه
بالداخل الآن ..

خلعت ثيابي ورقدت في الفراش أقرأ حتى ما بعد
منتصف الليل .. داعب النعاس عيني فأطافلت
الضوء ، واتجهت لأفتح الشيش لأجدد الهواء قليلاً ..
لحظة رحت أنظر عبر الخليج .. لم يكن ثمة ضوء
في المكان إلا من شرفة (ستول) .. ثم رأيته ..
أعني : رأيت أنبوب الهواء .. رأيته في الضوء
الشاحب ثم اختفى ، لكنني عرفت أنه متوجه إلى
الصخور تحت الشاليه الخاص بي ..
وساد الصمت .. لربما كانت تفعل هذا كل ليلة ..
لربما كان هذا روتينها .. وأنا نائم لا أدرى بشيء

كانت هي في المياه تحت صخور الشاليه .. فكرة غير
مربيحة .. تخيل أنها كل ليلة - بعد منتصف الليل -
كانت ترتدي ثياب الغطس وتتجسس على الشاليه رقم
(62) .. وفي هذه الليلة بالذات بعد مكالمتي مع
زوجها ، كان وجودها قربى شيئاً مرجفاً ينذر بالخطر ..
فجأة من الظلام على يميني لمحت أنبوب التهوية
اقرب لي ..

أصابني الذعر ، فعدت لغرفتي وأغلقت الشيش ..
وقفت وظهرت للحائط بين غرفة النوم والحمام ،
أصغي .. بدا لي أن دهراً مضى قبل أن اسمع الصوت
الذى توقعته وهبته ..

صوت حفيظ في شرفي .. احتاك يدين ..
وتنفس ثقيل ..

وعرفت أنها هناك .. عرفت أنها تمسك بساقطة
الشيش ، والماء يتتساقط من ردائها العطاطي ..
وحتى لو صرخت : لماذا تريدين ؟ فلن تسمعني ..
فهي لا ترتدي جهاز السمع تحت الماء ..

بدأت تقرع على الشيش فلم أبد حرائعاً ..
قرعت ثانية .. ثم دقت الجرس ..

تنفست في راحة .. الآن يمكن أن أتأم في سلام ..
 عندها رأيت الشيء عند قدمي .. الحنيت والتقطته
 فوجده عبوة صغيرة ملفوفة في قماش عازل
 للماء .. عدت به إلى الفراش ورحت أتفحصه ،
 وغامرني شك أحمق في القابل .. لكنني استبعدته ..
 فباتتأكيد تكفي رحلة تحت الماء لتعطيل أيام قبلة ..
 تذكرت المثل القديم : (خذ حذرك حين يهديك
 اليوناني شيئاً) .. لكن آل (ستول) لم يكونا
 يونانيين .. وحتى لو وجدا (أطلنطس) نفسها ،
 فإن المفروقات لم تكن قط جزءاً من كنوز القارة
 المختفية ..

فتحت اللفافة بمقص أظفار .. كان الشيء ملفوفاً
 بشبكة دقيقة ، وحين مزقتها وجدته دورقاً صغيراً
 أحمر اللون ، له مقبضان على الجانبين .. لقد رأيت
 شيئاً كهذا من قبل ، وأعتقد أن اسمه الصحيح
 هو (ريتون) ، وكنت أراه في المتاحف ..
 أما جسم الدورق فكان منحوتاً بدقة على شكل
 رأس إنسان ، له عينان جاحظتان ، وشارب يتذليل
 إلى لحية صغيرة هي قاعدة الدورق .. وفي أعلىه

اخترق الرئتين الهواء كأنه مثقب طبيب الأسنان
 فوق عصب .. ثلاث مرات ثم ساد الصمت .. لا دفق
 على الشيش ولا رنين ..
 لا بد أنها تنتظرني في الشرفة - والماء يسيل من
 ردائها المطاطي - حتى أفقد صبرى وأخرج لها ..
 اتجهت إلى الفراش وأضأت المصباح ، متوقعاً أن
 أسمع الطرقات على الشيش فلم يحدث شيء .. نظرت
 إلى ساعتي فوجدت أنها الثانية عشرة ونصف ..
 جلست على فراش وخوفى من هذا الشيء الأسود
 يتزايد لحظة فلحظة .. وما زاد من هنعى هو أن
 صاحب الرداء الأسود كان أثى ، وهو شيء غير
 منطقى ..

ماذا تريد مني ؟
 مررت ساعة حتى استعدت صوابى .. لا بد أنها
 رحلت .. نهضت إلى الشيش وأصلحت السمع ، ثم
 برفق فتحت السقاطة .. لا أحد هناك ..
 خرجت من الشرفة المظلمة ، ورأيت بركة الماء
 الصغيرة على الأرض دليلاً على الشيء الذى كان هنا
 منذ ساعة ، وأثار الأقدام التى عادت من الشرفة إلى
 الصخور ..

في الصباح سيكون على أن أغلفه ، وأطلب من الساقى أن يأخذه ليعيده إلى الشاليه رقم (38) ..
يستطيع (ستول) أن يحتفظ بهذا (الرايتون) - الذى لا يعلم سوى الله (سبحاته وتعالى) كم يساوى -
فأنا لا أريد شيئاً منه ..

مرهقاً ، غرفت في النوم ، لكن - رباه - لم أنس شيئاً .. إن الأحلام التى زارتني والتى حاولت أن أصحو منها ، تتنمى لعالم مجهول آخر ، اشتبك بعالمنى بشكل مريع .. لقد بدأ الصف الدراسي ، لكن المدرسة التي كنت أعمل فيها كانت محاطة بالأدغال ، وفوق قمة جبل .. أما طلبتى فكانوا وجوهاً مألوفة يضعون غصون الغار في شعورهم .. ولم يكن الرجل وسطهم هو أنا ، بل كياناً شيطانياً خرج من الدورق ، يت卜ختر كما فعل (ستول) في (سبينالونجا) ..
صحوت بعد ما بدا لي قرونا ، وضوء الشمس يغمر الشاليه ..

كان عقلى ينبض ، وشعرت بغيان وبرهان ..
نظرت عبر الخليج ، فوجدت القارب فى المرفا .. إن آل (ستول) لم يذهبوا للصيد ..

كانت أشكال ثلاثة رجال يت卜خرون ، لهم نفس الوجه التى رأيتها على الدورق للوجه الكبير .. لكن أقدامهم كانت حوافر ماعز ، وفي مؤخرة كل منهم ذيل حصان ..
نظرت لداخل الدورق فوجدت وريقة بالقاع .. كانت بطاقة كتب عليها :

- « (سيليسيوس) : ساتير أرضى هو نصف حصان ونصف إنسان .. لم يميز ما بين الحقيقة والزيف ، أتبع (ديونيسيوس) سيد السكر وصار معلمه ونديمه في الشراب » (*)

كان هذا كل شيء .. لا شيء أكثر .. أعدت الورقة إلى الدورق ، وأبعدت الدورق إلى آخر الغرفة ، وخطيتها بسترنى كى لا أرى الوجه الساخر المزعج ، وعدت إلى الفراش ..

(*) الساتير : وحش يونانى خرافى يشبه الماعز الذى تمشى على قدميهما الخلفيتين ، ويضرب به المثل فى الرجل الحيوانى الشهوانى ، أما (ديونيسيوس) فهو : (باكونس) إله الخمر عند اليونان ..

لم يكن تشابه الوجه المريع مع (ستول) وهما بل
حقيقة .. ربما لهذا تخلص منه بإعطائه لى ..
وبالتأكيد كان سيد متابع كثيرة ليمر به من
الجمارك ، وعقوبة التهريب شنيعة الآن .. لكنى
متاكد من أن له معارف هناك يسهلون له الخروج
بكنوزه ..

تذكرة مظهر (ستول) في (سبينالونجا) حين
خرج من النهاية المهدمة .. بدا لي وقتها كنصف
إنسان ونصف حصان .. كان شبيهاً بـ (سيلينيوم)
نديم (ديونيسيوس) .. كان الدورق مفزعاً بحق ..
ترى هل فهم الرجل حيواناته بعد فوات الأوان ؟
يقول السقاة هنا : إن (ستول) لم يكن بهذه الشاعة
من قبل .. ترى هل هناك ما يربط بين تغيره وعثره
على هذا الدورق ؟ شيء واضح جداً ..
يجب التخلص من هذا الشيء ولكن كيف ؟ لو
سلمته للإدارة فلن يصدق أحد قصتي .. هل أقيمه في
البحر أو في جزيرة ما ؟ إبه (رأيتون) عمره قرون ،
وئمه لا يقدر بمال ..
لتفته بحذر واتجهت إلى الفندق ..

أخذت الدورق ولفته بعناية ، وحين جاء الساقى
بالإفطار إلى الشاليه ، سأله أن يسدى لى خدمة ..
- « أريد أن تذهب لشاليه مستر (ستول) .. لرى
أنه لم يخرج للصيد اليوم .. »
- « هذا ليس مستغرباً .. لقد رحل آل (ستول)
هذا الصباح .. »

- « أرى .. وهل تعرف متى يعودان ؟ »
- « لن يعودا يا سيدى .. لقد عادا لوطنهما ..
إليهما منطلقان الآن في الطريق إلى مطار (أثينا) ،
والقارب الآن متاح لو أردت أن تستأجره .. »
واتصرف ، وظل الدورق في مكانه جوار صحفة
الإفطار ..

* * *

ازدادت الشمس شراسة في غرفتي .. سيكون يوماً
حاراً جداً ..

لم أكن في مزاج يسمح بالرسم ، وكنت مرهقاً
بغفل أحلام الليل .. لقد رحل آل (ستول) لكنهم تركوا
لى تركتهم .. كشفت الدورق من جديد وتحضرته ..

طلبت من الساقى فى البار بعض المياه المعدنية ،
فسألنى :

- « لا حملات استكشافية اليوم يا سيدى ؟ »

- « ليس بعد .. »

- « لدى شيء لك .. »

ومذ يده لى بزجاجة صغيرة فيها ما بدا لي
كليمون .. وقال لي :

- « تركها لك مسٌّر (ستول) مع تحياته .. »

نظرت إليها فى شوك ، فابتسم وقال :

- « يبدو أنها من الشراب الذى كان يصنعه
لنفسه .. إنه غير مؤذ .. فقد جربت وزوجته زجاجة
منه .. مذاقه يذكرك بالليمون .. »

وصب لى قليلاً منه فى المياه المعدنية قبل
أن أطلب .. غمست إصبعى وتدوّقت قطرة .. كان
له مذاق ماء الشعير ، الذى كانت أمى تعدد له أنا
طفل .. إنه طعم سكرى خفيف ..

- « فى صحة مسٌّر (ستول) .. »

وشربت الكوب .. على حين قال الساقى :

- « إن خير ما تفعله ممز (ستول) هو أن تأخذ
زوجها إلى المستشفى .. إن زوجها مريض وليس
ثملًا فقط .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

ضرب على جبينه ، وقال :

- « شيء خطأ هنا .. أنت ترى بنفسك كيف
يتصرف .. »

بدا مذاق الماء المعدنى أفضل لى الآن .. وسألته :

- « ما عمل (ستول) ؟ »

- « يقول إنه يدرس الكلاسيات فى جامعة أمريكية
ما .. لن نعرف أبداً .. لقد دفعت ممز (ستول) كل
الفوائير هنا ، وبدا واضحًا أنه يعتمد عليهما .. وإنى
لأشتاعل .. هذه المرأة تعانى كثيراً من العذاب معه ..
لقد رأيتها تنظر له أحياناً ولم تكن نظرة حبٍ فقط .. »
طلبت مزيداً من المياه المعدنية ، فالحر جعلنى
أشعر بالظماء ..

سألته :

- « هل هناك أماكن مجهولة في الخليج ؟ »

- « لا أعتقد يا سيدى .. ربما كانت هناك .. لكنى
لا أحسب هناك أماكن لا تعرفها الحكومة هنا .. »

ونهضت ، وتمنيت له يوماً طيباً ، وتساءلت
لو كان يرى بروز الشيء في جيبي ..
كان الفضول يدفعني إلى رؤية شاليه (ستول) عن
قرب .. دنوت منه فلم أر أثراً للقاطنين السابقين ،
ولن ينتهي اليوم قبل أن تسكنه أسرة إنجليزية ..
نظرت عند هذا الشاليه إلى الشاليه الخاص بي ،
وهي المرة الأولى التي أرأت فيها من هنا .. بدا لي
أقرب مما ظننت ، ولا عجب في أن حسبي (ستول)
متطللاً أو جاسوساً ، وربما شخصاً جاء من (إنجلترا)
ليحقق في مصرع (جوردون) ..
هل أرسل لي (ستول) الدورق على سبيل التحدي ،
أم على سبيل الرشوة ، أم على سبيل اللعنة ؟
رأيت رجلاً يونانياً عجوزاً أسمه ينطف جانب
القارب ، الذي كان (ستول) يركبه .. تذكرت ابن
عم ساقى البار ، واسمها (بابيتوس) .. سألت الرجل :
ـ « هل أنت صاحب القارب ؟ »
ـ « (نيكولاوس بابيتوس) صاحب القارب هو أخي ..
هل تريد استئجاره ؟ لا ريع وبحر هادئ .. »
ـ « لا أريد الصيد ، لكن لا بأس بجولة لمدة
ساعة .. كم تكلف ؟ »

ـ « لماذا عن حطام السفن ؟ السفن التي غرفت
ورفدت في قاع البحر .. »
هزَّ كتفيه ، ويحذر قال :
ـ « هناك إشاعات .. قصص عبر السنين ، لكنها
خرافات ولن أصدقها ، ولا أعرف واحداً متعلمَا
يصدقها .. »
ثم صمت قليلاً وراح يلمع كوبًا .. فسألته :
ـ « تكلم .. »
ـ « أحياناً يجد البعض أشياء عظيمة القيمة ، يتم
تهاريها خارج البلاد أو بيعها داخل البلاد للخبراء
بشمن غال ، لو كان الأمر خطيراً .. إن لدى ابن عم
يعمل في المتحف الوطني ، وبملك المقهى عن
(البركة التي لا قاع لها) .. كان (ستول) يذهب
هناك كثيراً .. اسمه (بابيتوس) ، والقارب الذي
يستأجره مستر (ستول) يخص ابن عم .. لكنك
لست من هواة جمع التحف يا سيدى ، ولا تهتم
بالآثار .. »
ـ « لا .. لا أهواها .. »

حسب الأمر بالدراخمة ، وقفت بإجراء الحسبة ..
 وجدت أنها لا تزيد عن جنيهين في الساعة ، وبالتأكيد
 يتضاعف المبلغ لو قصدت (سينالونجا) .. فتحت
 حافظتي لأرى ما إذا كانت لدى عملات كافية ..
 قال لي وأنا أعد المال وقد فرأى أفكارى :
 - « إن التكلفة تذهب إلى فاتورة الفندق .. »
 أنهى هذا ترددى .. سحقاً لهذا ول يكن ما يكون ..
 وهكذا استأجرت القارب لمدة ساعتين مع الرجل ،
 ورحت لأول مرة أرمي خط الشاليهات من البحر ..
 قررت أن أتجه إلى الموضع الذي كان (ستول)
 فيه ، وحيث كانت زوجته معنادة الغطس ..
 راحت المجاذيف تضرب المياه ، بينما شبه جزيرة
 (سينالونجا) تتبدئ أمامنا .. الحصى يلتمع على
 الشاطئ كالجواهر ، والأسماں تداعب أمواج الخليج ،
 بينما القارب يطوف ببطء .. وفكرت في مسز (ستول)
 التي كانت تفر إلى الأعماق من زوجها ، وكان الكنز
 هو العذر .. لكنها - في الواقع - كانت تفر من حياة
 لا نطاق ..

ثم نظرت إلى التلال فرأيت شيئاً يلمع .. كان

شعاعاً من الشمس يلتمع على الزجاج ، والزجاج
 يتحرك .. ثمة من يراقبنى بمنظر مقرب .. نظرت
 بدقة فرأيت شخصين يبتعدان عن الحافة لكنى
 ميزتهما في الحال ..

أحدهما كان مسز (ستول) ، والآخر هو تابعها
 اليونانى .. ونظرت إلى النوتى الجالس معى فوجده
 لم يلحظ شيئاً ..

والآن فهمت .. لقد عادت مسز (ستول) مع
 اليونانى إلى البناء العتيقة لإخلالها من البقايا ،
 والآن انتهت مهمتها وسوف يعودان إلى المطار
 ليلحقاً بطائرة (أثينا) .. وماذا عن (ستول) ؟ لابد
 أنه نائم في السيارة ينتظرهما ..

جعلتني رؤية المرأة من جديد أفقد الحماس لحملتى ،
 وتمنيت لو لم أقم بهذه الجولة قط .. كنا الآن نسبح
 في مياه ضحلة للغاية ، مياه رمادية اللون .. رحت
 أرمقها وقد غطيت عيني بيدي ..

فجأة رأيت الهلب الصدى ، وقد تراكمت فوقه
 الطحالب وأثار القرون التي مررت حيث هو .. كان
 تحت الماء .. ومعه رأيت بقايا السفينة العملاقة

الصمت .. لم تكن تلك مسؤوليتي .. لربما طاردنى
 الشعور بالذنب ، لكن ليس على أن أتورط فى هذا ..
 سمعت من يشهق جوارى ، ثم عرفت أنه أنا ..
 أشهق رعباً وخوفاً ، وضررت الماء بالمدافعين عازماً
 على الابتعاد ..
 إذ فعلت هذا ، أخرجت الدورق من جيبي وبدعه
 طوحت به فى الماء ..
 لم يغرق حالاً بل ظل يتارجح على الماء ، ثم ببطء
 امتدأ بالبحر الأخضر الشفاف ، ونظرت لى العينان فى
 الوجه المنتفع ، لم تعودا عينى (سيلينيوس)
 الساتير بل هما عينى أنا ، كما سأراهما يوماً ما فى
 مرأة ..
 بدا أنهما تحويان فى أعماقهما كل الحكمة ، وكل
 القتوط .

★ ★ ★

دافنى دومورييه

١٩٧١

مع تحيات منتدى ليلاس

١٥٥

المهمشة منذ آن طويل .. كان (ستول) محقاً ، لقد تم
 تنظيف الحطام منذ قرون .. لا آنية ولا عملة تلتلم ..
 ترجرج الماء بفعل الأنسام ، ثم صفى ثانية ..
 فرأيت جسداً بشرياً يفرد ذراعيه ، وقد ربطت ساقاه
 إلى الهلب الآخر .. وكانت حركة الماء تعطيه حياة
 خاصة كائناً يقاتل من أجل الخلاص بلا جدوى .. فقد
 كانت ساقاه مثبتتين ياحكم ..
 لسوف تمر أيام طويلة حتى يذوب اللحم ، تاركاً
 الشكل الخارجي فقط ..
 كان الجسد جسد (ستول) .. وقد صار جذعه غير
 آدمي وهو يتارجح إلى الأمام والخلف مع التيار ..
 نظرت إلى التل مرة أخرى ، لكن الشبحين اختفيا
 منذ زمن .. وفي لمحات التمع تفسير ما حدث لى ..
 لقد كان (ستول) هنا يتذكر كعادته ، وفجأة
 ضرباه ليفقد الوعي ، وجرأه من قدميه إلى الماء ،
 وكانت زوجته هي التي أخذته تحت الماء لتثبت قدميه
 للأبد في الهلب .. حتى ..

كنت الشاهد الوحيد على مصيره ، ولا تهم
 الأذنيب التي ستحكىها حين تعود .. فلسوف أزم

١٥٤